الجمهوريـــة الجزائرية الديمقراطية الشعبيـــة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمـــــي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم -
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

الموسومة بـــ

تيمة الحيوان في الشعر الجاهلي

إعداد الطالبـــــة:
بوفادن فوزيـــــــة

إشراف الأستاذ:
- بن ناصر حنيفي

لجنة المناقشـــة

أ. د حنيفي بن ناصر	مشرفا ومقررا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
أ. د أحمد قوفي	رئيسا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
أ. د شارف لطروش	عضوا ومناقشا	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

تاريخ المناقشـــــة: 2024/06/12

السنة الجامعية 2024/2023

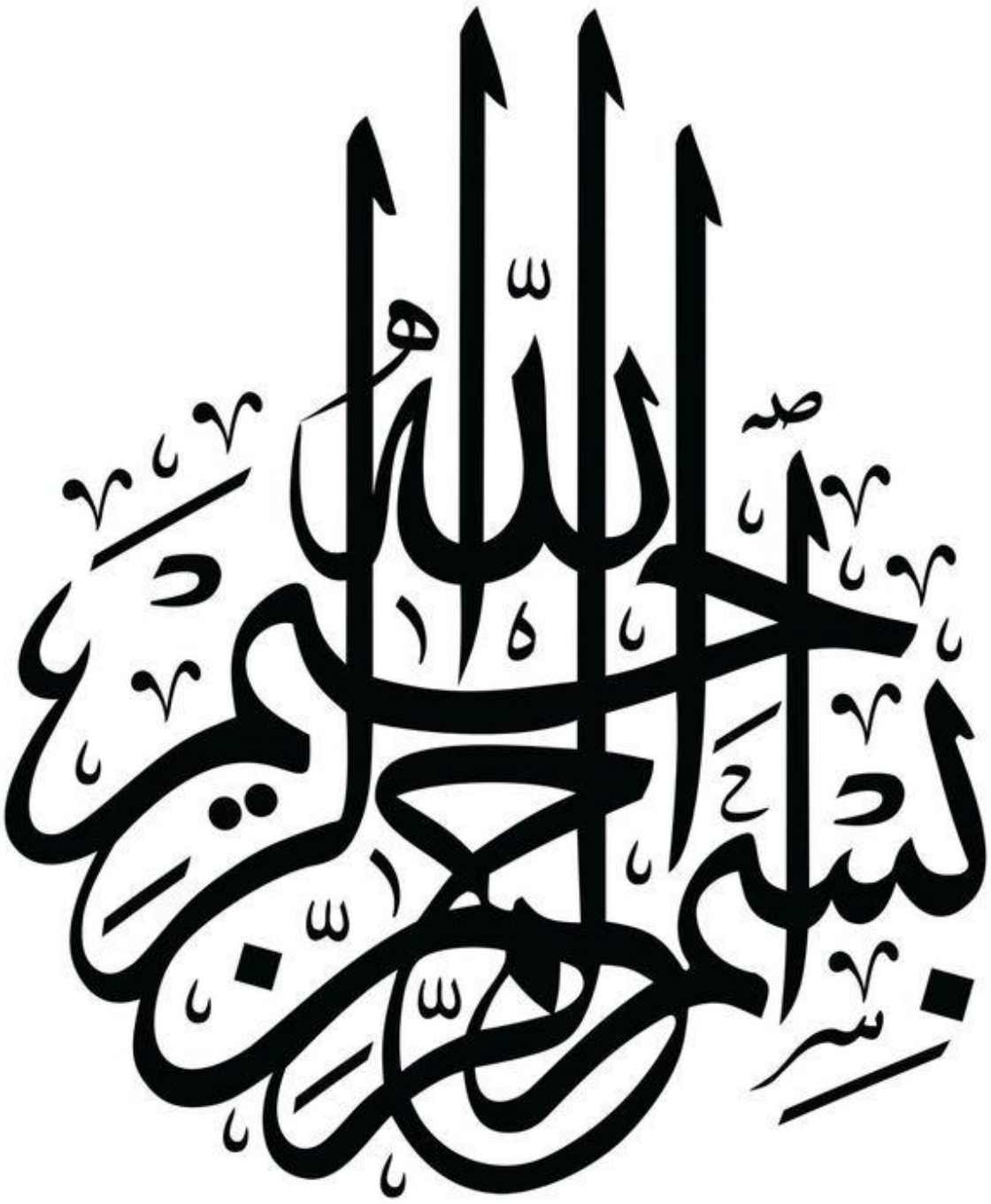
بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــــــــــــداء

اهدي عملي الخالص لجلال وجهك يا فاطر الخلق ورافع السماء إلى منار الهدى

وقدوتنا الهادية حبيبك محمد خاتم الأنبياء.

إلى أجمل شئ في الوجود إلى من أحاطتني بعطفها حيث احتجته وحنانها حيث أردته

وصدرها حيث طلبته، وقلبها حيث كنت ابنتا فكانت خليلة إليك أمي أهدي ثمرة حلمك.

إلى من كان السند المتين والصدر الحنون، والقلب القوي والعقل الراجح.

إلى من علمني أن الحياة تواضع وكفاح وأن الكفاح عبادة للرحمان إليك والدي العزيز أهدي ثمرة جهدك.

إلى زوجي ورفيقي وسندي "بن طكوكة الجيلالي"

الى قرة عيني و سبب فرحتي و كفاحي أولادي عبد الجليل.هديل .عبد الاله

إلى إخوتي وتاج راسي وأنوار قلعتي حورية، اسيا، فاطمة الزهراء، بلال، إكرام، محمد، أماني عبد السلام

إلى من سكنتم شغف القلب وقلتم ليس للكراء بل الأبد نحيط البقاء والوفاء نوال، صارة، سمرة.

إلى من علموني الأبجدية معلمي وأساتذتي ونقشوا حروفها على صفحات ذاكرتي.

إلى كل من يحمل لقب بوفادن.

إلى كل من قاسمني هذا العناء ورافقني في مشواري الدراسي مني هذا الاهداء.

فوزية

ملخص عن تيمة الحيوان في الشعر الجاهلي :

تيمة الحيوان في الشعر الجاهلي تمثل موضوعا رئيسيا و شائعا ، حيث كانت القبائل العربية تعيش قرب الطبيعة وتعتمد على الحيوانات في حياتها اليومية و الرحلات و الحروب ، تجسد الحيوانات في الشعر الجاهلي رموزا متعددة مثل القوة و الشرف و الجمال و المرونة يبرز دور الجواد و الابل في الشعر الجاهلي كرمز للقوة و الكرامة بينما تمثل الابل الشعراء المجد و الرفاهية كما يعتبر الصقر رمزا للجمال و القوة ز السرعة ويظهر في الشعر كرمز للفخر و الاستقلالية.

في الشعر الجاهلي كان لتيمة الحيوان دور مهم في التعبير عن القيم الاجتماعية والفلسفة للعرب قبل الإسلام عادة ما كانت الحيوانات تستخدم كرموز للصفات الإيجابية مثل الشجاعة الفروسية الجمال السرعة وكدلك الصفات السلبية مثل الضعف أو الشر.

الكلمات المفتاحيـــــة :

- ✓ **الحيوان :** تشير كلمة الحيوان في اللغة العربية الى كل الكائنات الحية التي تنتمي الى مملكة الحيوان و تتميز بالقدرة على الحركة ، سواء كانت حيوانات برية او مستأنسة ، وتشمل مجموعة واسعة من الثديات و الزواحف و الطيور و الأسماك و الحشرات وغيرها .

- ✓ **الشعر الجاهلي :** هو الشعر الطي كتب في الفترة الجاهلية قبل الإسلام في الجزيرة العربية وتتميز بالغزل و الوصف و المدح و النقد و الفخر بالأنساب وكان الشعر جزءا أساسيا من الثقافة و التعبير عن الذات لدى العرب قبل الإسلام .

- ✓ **الشاعر الجاهلي :**يشير الى الشعراء الدين عاشوا في الفترة الجاهلية قبل الإسلام في الجزيرة العربية ، كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع العربي ، حيث كانوا يكتبون القصائد و الاشعار التي تتناول مواضيع متنوعة مثل الحب ، الشجاعة ،الحرب الطبيعة ، كما كانوا يتنافسون في المسابقات الشعرية المعروفة بالمحاورات .

THEME OF ANIMALS IN PRE-ISLAMIC POETRY

In pre-islamic Arabian Apoetry,The thème of animals played a signifiant rol as symbols of Various virtues and qualities prized by the bedouin society .Animals such as horses symbolized honor courage ,and physical strenght ,reflecting their crucial role in warfare and tribal prestige ,camels were celebrat their resilience wealth and embodying prosperity and Independence .

In pre-islamic Arabian Apoetry,The theme of animals played served multfacedted roles beyond mere symbolism, Animals were intricately woven into poetic narratives as embodiments of social statuts, personal virtues , and cultural identity .

المقدمة

المقدمـــة:

لا يزال الشعر الجاهلي خالدا مؤثرا، شديد الوقع على نفوسنا، عظيم الهيمنة على مشاعرنا، متعاليا على مرددیه وعاشقيه، ودائما تحس الهيمنة والسطوة فيه لأنه شعر متجدد في ضمير الأمة، يرتد بنا إلى أعماقنا المظلمة، فيكشف عن أوجاعها ويسبر أغوارها ويعكس تراثها ومعتقداتها وتجاربها، فهو بحر واسع من الموضوعات والموصوفات ونحن أحببنا أن يكون موضوع دراستنا شعر وصف الحيوان، أما سبب هذا الاختيار فهو أن شعر وصف الحيوان من أجمل الشعر العربي القديم وأمتعه إذ يطلعنا على عادات وطبائع مخلوقات من حولنا ويكشف أسرارها وخباياها.

وهو من جهة أخرى يثبت ثراء اللغة وتمكن الشعراء ووفرة أدواتهم، حيث يصفون شيئا واحدا، ويختلف كل واحد منهم عن غيره في التناول، فنجد حيوانا مختلفا لدى كل شاعر، وإن كان الإطار واحدا وفي ذلك تكمن عبقرية الشاعر العربي القديم، كل هذه الدوافع سرنا على هديها ليكون عنوان مذكرتنا **"تيمة الحيوان في الشعر الجاهلي"**، فانبثقت عنه أشكالية **ما مدى العلاقة القائمة بين كل شاعر وحيوان ورد في أشعاره؟** وتفرعت عنه عدة إشكاليات تستدعي منا مقاربتها وتمثلت فيما يلي:

- كيف تناول الشاعر الجاهلي الحيوان؟
- كيف يتجلى الحيوان في موصوفات الشعر الجاهلي؟
- ما هي الحيوانات التي كانت موضع اهتمام الشعراء الجاهليين؟

- هل برع شاعر على آخر في تصويراته الشعرية حول هذا الحيوان أو ذلك؟

حاولنا أن نجيب على الأسئلة في لب البحث الذي سرنا فيه على خطـــة افتتحت بمقدمة تلاها مدخل ضم تعريف لكلمة **"حيوان"** في اللغة وورودها في القرآن الكريم، الحديث، والشعر، ومدى ارتباط المجتمع الجاهلي بالحيوان والشاعر فرد من هذا المجتمع، ثم فصلان الأول عنون بالحيوان موضوع للوصف إحتوى على أربعة مباحث نذكرها على التوالي: وصف الحيوانات الأليفة، وصف الحيوانات البرية، وصف الطير وأخيرا وصف الحشرات والزواحف.

أما فيما يخص الفصل الثاني فوسم بالحيوان وسيلة للوصف تندرج تحته أربعة مباحث كان أولها الحيوان والمرأة، ثانيها الحيوان والطلل، ثالثها الحيوان والحرب ورابعها الحيوان وبلاغة التشبيه. ثم ختمنا البحث بحوصلة لما جئنا به من مادة علمية، يليها ملحق أوردنا فيه ترجمات للشعراء وشرحا لبعض المفردات الصعبة متبعين المنهج الوصفي التحليلي وذلك بوصف وتحليل الأبيات والمقاطع الشعرية التي جاءت في شعر الحيوان، معتمدين في ذلك على مصادر أهمها: الحيوان للجاحظ، الأصمعيات للأصمعي، ومجموعة من الدواوين وعلى مراجع أهمها: الذئب في الأدب القديم لزكريا عبد المجيد النوتي، فن الوصف في الشعر الجاهلي لعلي أحمد الخطيب، في الأدب القديم لناهد الشعراوي، وكل عمل يبقى محفوفا بعوائق وصعوبات تمثلت في فقدان بعض الدواوين والشروحات بالإضافة إلى تشابه المادة العلمية وتقارب الآراء والقراءات النقدية حول ورود الحيوان في الشعر الجاهلي.

ولكن على الرغم من ذلك حاولنا تذليل الصعوبات فاكتمل البحث بعد جهد مضن سبرنا من خلاله أغوار شعر وصف الحيوان وفي الأخير نرجو من المولى القدير أن يوفقنا في مسعانا، مصداقا لقوله تعالى : **" وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ " الآية 105 سورة التوبة .**

المدخل

الحيوان في الحياة الجاهلية

العلم بالحيوان ومعرفة طبائعه علم قديم عند العرب قبل الإسلام وبعده لأن حياة الصحراء قد فرضت عليهم معرفة واسعة بمواطن الحيوان ومواقع المياه ومنازل الرعي، ومن ثم كانت الصحراء المترامية الأطراف كتابا مفتوحا بالنسبة لهم، وكانت ثروتهم تنحصر في قطعان الإبل والخيل والغنم والبقر والمعز، ومع ذلك فإن هذه الحيوانات لم تكن هي المفضلة عندهم نظرا لشدة حاجاتها للمراعي، وقلة صبرها على المـاء، وإنما كانت النوق والإبل هي الحيوانات المفضلة عندهم، بل كانت المعيار الحقيقي لثروتهم حتى أنهم أطلقوا عليها " الُنعم" لأنها كانت النعمة الكبرى في حياتهم.

وفي مقابل هذه الحيوانات الأليفة كان عندهم علم أيضا بالحيوانات البرية الوحشية التي شاركتهم الحياة في الجزيرة العربية.

وقد عني العرب القدماء بالحيوان عناية فائقة" بلغت حد التقديس وهو ما ذهب إليه الدكتور - علي البطل - أن كل حيوان كان مقدسا لدى أهل الجاهليـــة ابتداءًا من الثور الوحشي إلى الظليـــم والناقة والحصـان، وهو مذهب من الصعوبة الموافقة عليه لأننا لا نحسبه يستند إلى نصوص موثوقة ولا إلى منطق مقبول إذ لو أن العرب كانوا يعبدون هذه الحيوانات كلها حقا لما اصطادوها ولما أكلوها وامتنعوا عن امتطائها في تظغانهم وكانوا عفو عن تسخيرها في حياتهم الاقتصادية والحربية"[1].

[1]- عبد الملك مرتاض، السبع معلقات (مقاربة سيمائية / أنثروبولوجية لنصوصها)، دراسة من منشورات، اتحاد الكتاب العرب 1998، ص474.

فالذي يقدس الحيوان، ويعبده لا يسمح لنفسه بإيذائه، وقتله واصطياده وأكله والتهامه، فنحن ألفينا كثيرا من الأشعار الجاهلية تتحدث عن قتل الثور والعير وعن أكله، ومن ذلك قول امرئ القيس:"

فعادى عداءا بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضج بماء فيغسل

فظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل[1]

ومن مظاهر اهتمام العرب بالحيوان تسمية أبنائهم بأسمائه " فكان من ذلك أسد وليث وعنبسة وحيدر وأسامة وحفص وغيرها من أسماء الأسد، وأوس وذؤالة ونهشل من أسماء الذئب والأرقم وهو نوع من الحيات"[2].

ومنهم من كانوا يعتقدون أن أسماء بعض الحيوانات " تكسب ما يسمى بها بعض صفات الحيوان، ففي رأيهم لكل حيوان ميزة على الأقل في نظرهم كالوفاء في الكلب والكسب في الذئب وشدة الاحتيال والإباء والأنفة وغير ذلك والشجاعة في الأسد".[3]

ويمكن اعتبار هذا مذهب من مذاهب العرب في تسمية أبنائهم فمنهم من يسمى بالسباع ترهيبا للأعداء نحو أسد، ليث، شبل، أسامة، ضرغام وما أشبه ذلك.

والحيوان في اللغة " مصدر حي وقياسه حَّييان، قلبوا الياء الثانية واوا، قالوا حيوة في إسم رجل وبه سمي ما فيه حياة حيوان، وفي بناء الحيوان زيادة معنى

[1]- امرئ القيس، ديوان حققه وشرحه حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت، ص50، ص51.

[2]- حلمي خليل، لغة الحيوان وطبائعه، دار المعرفة الجامعية، 2007، ص14.

[3]- زكريا عبد المجيد النوني،الذئب في الأدب القديم، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،ص 14.

ليس في بناء الحياة وهو ما في فعلان من الحركات ومعنى الاضطراب **كالتروان** وما أشبه ذلك والحياة حركة، كما أن الموت سكون فمجيئه على ذلك مبالغة في معنى الحياة وقال بن عطية الحيوان والحياة بمعنى واحد، وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كالهيمان ونحوه، والمعنى لا موت فيها، ويقال الأصل في حييان بياءين فأبدلت إحداهما واوا لاجتماع المثلين"[1].

ومن هنا إذا كانت الحية تقتنص في شيء من ألفاظ اللغة عند العرب فهي إنما تقتنص في لفظ الحيوان الذي يطلق على الجنس الحي وهو والحياة، وإن كانا بمعنى واحد -إلا أن في الحيوان الحياة الدائمة.

وحينما جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم احتلت أسماء الحيوان في سوره وآياته مكانا ملحوظا يدل على ذلك أسماء الحيوانات التي أطلقها القرآن على بعض السور مثل: البقرة، الأنعام، النحل، النمل، والعنكبوت والعاديات، بل استعمل القرآن في آياته أسماء حيوانات أخرى منها أسماء صريحة مثل: الناقة والبعير والخيل والبغال والحمير والثعبان والحوت والبعوضة، والجراد والضفادع وغيرها.

أما النوع الثاني من أسماء الحيوان فقد ذكرت في القرآن بالوصف أو الكنية مثل: العاديات، المغيرات، لحما طريا، البحيرة والسائبة والصافات والموقودة، ومع ذلك لم يستعمل القرآن كلمة " الحيوان" سوى مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى:" **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا**

[1]- كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الجزء الأول، ص62،63.

يَعْلَمُونَ"[1] **الآية 64 سورة العنكبوت** وكلمة حيوان تستعمل في القرآن بعدة دلالات وأوجه، كما يقول الراغب الأصفهاني ت (425هـ) وهذه الدلالات هي:

1- القوة الناميـــــة في النبات والحيوان ولذلك قالوا: نبات حي، قال الله تعالى:**"وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"**[2] **الآية 30 سورة الانبياء** .

2- القوة الحاسة: وبها سمي الحيوان حيوانا.

3- القوة العاقلة : كما في قوله تعالى : **"أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ"** الآية 122 سورة الانعام [3].

4. الحياة الأخروية: كما في قوله تعالى:**" يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي"** [4]**الآية 24 سورة الفجر.**

5. الحياة التي يوصف بها البارئ تعالى، فقد قيل عنه هو "حي" ومعناه لا يصح عليه المـــوت وليس ذلك إلا الله عز وجل.

وبناءا على ذلك فإن الحياة باعتبار الدنيا والآخرة ضربان حياة الدنيا وحياة الآخرة **"وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا"** [5]**الآية 38 سورة النازعات** وبناءا على ذلك تدل فإن الدنيا والآخرة ضربان: حياة الدنيا وحياة الآخرة.

---

[1] العنكبوت، الآية 64.

[2] الأنبياء ، الآية 30

[3] ألأنعام ، الآية 122

[4] الفجر ، الآية 24

[5] النازعات ، الآية 38

"وآثر الحيوة الدنيا" الآية 38 سورة النازعات كذلك تدل على البقاء الأبدي بعد الموت وذلك في قوله تعالى: **" وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ " الآية 64 سورة العنكبوت.**

كذلك تدل على البقاء الأبدي بعد الموت وذلك في قوله تعالى: **"وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الحيوان" الآية64 سورة العنكبوت** أي الحياة السرمدية التي لا تفنى.

تناول القرآن الكريم الحيوانات بنوعيها:

أ-**الأليفة**: ومن ذلك الإبل في قوله تعالى: **"أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ"[1] الآية 17 سورة الغاشية،** بالإضافة إلى البغال والحمير والخيل في قوله تعالى: **" وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"[2] الآية 08 سورة النحل.**

البرية: ومن ذلك الذئب في قوله تعالى: **"قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ" [3]الآية 13 سورة يوسف .**

وذكر هذين النمطين في الحديث كذلك فعن **أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله وسلم قال: "ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام إلى الأرض وكأن رأسه يقطر ولم يصبه بلل وإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير**

[1] الغاشية ، الآية 17
[2] النحل ، الآية 08
[3] يوسف ، الآية 13

ويفيض المال وتقع الآمنة في الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحياة ولا يضر بعضهم بعضا، ثم يبقى في الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه"[1] .

أما لفظ "الحيوان" فقد ذكر في الصحيحين وغيرهما، **عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لعن الله من مثل بالحيوان"[2].**

ومن يستعرض الشعر العربي قبل الإسلام أو بعده يجد أن الشعراء كثيرا ما يذكرون في شعرهم أسماء هذه الحيوانات مثل: الذئب والضبع والنمر والأسد والثعلب وحمار الوحش والظليم والنعامة والوعل والغراب والبوم والظبي والأرنب والنسر والصقر والعقاب والسمنى والقطاة والضب والهدهد، ومن الحشرات النمل والنحل والجراد وغيرها، وكان العرب والأعراب منهم خاصة على دراية واسعة بأنواع الحيوان في الجزيرة العربية، يؤكد ذلك قول الجاحظ (ت 255 هـ): **"وقل معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة، وقرأناه في كتب الأطباء (والمتكلمين)، إلا ونحن وجدناه أو قريبا منه في أشعار العرب والأعراب"[3].**

ولم تكن معرفة هؤلاء وهؤلاء بالحيوان نتيجة المشاهدة والملاحظة فحسب بل كانت نتيجة خبرات وتجارب خاضوها مع الحيوان وفي ذلك يقول الجاحظ: **" وكثيرا ما يبتلون بالناب والمخلب واللدغ واللسع والعض والأكل فجرت بهم**

---

[1] السنة النبوية الشريفة.

[2]- حديث متداول.

[3]- أبو عثمان عمر بن الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر، ج01-ص 19.

الحال إلى تعرف حال الجاني والجارح والقاتل، وحال المجني عليه، والمجروح والمقتول، وكيف الطلب والهروب وكيف الداء والدواء، لطول الحاجة ولطول البصر مع ما يتوارثون من المعرفة بالداء والدواء. "[1]

فتواجد الحيوان والإنسان في البيئة نفسها جعل هذا الأخير معرضا للخطر الدائم، مما أكسبه خبرة في معرفة الجاني من خلال حال المجني عليه، وبالتالي إيجاد الدواء المزيل للداء.

ومما يدل أيضا على مدى معرفتهم بالحيوان وصف بعض الشعراء لطبائع بعض الحيوانات مثل سرعة الظبي الهارب من مطاردة طائر جارح أو سرعة الظليم المذعور وهو عندهم من أسرع حيوانات الصحراء عدوا، وكثيرا ما يتردد في شعرهم ذكر الحمر الوحشية وكيف تسبق الإبل والخيل عند المطاردة. بل كان وصفهم لبعض الحيوانات وصف من رأى وشاهد، لا وصف من سمع ولم ير فالأسد عريض الساعدين والصدر والضبع غليظة الجسم ولون أرجلها يختلف عن لون جسدها.

ومن الشعراء من وصف ألوان الصراع بين الحيوانات مثل الصراع بين صقر وأرنب، فالصقر يقف فوق مرتفع مشرف على الأرض وهو ينظر حوله، فإذا به يرى أرنبا يخرج من شق في الأرض فيهوي الصقر عليه، ولكن الأرنب يزيد من سرعته طالبا للنجاة، فيزيد الصقر من سرعته وينقض عليه بل أكثر من ذلك فقد رصدوا تمنع الأتن الحامل على الذكور منها وهروبها بعيدا عنها كلما اقتربت الذكور منها، كما لاحظوا أن الحيات لا تخرج من جحورها إلا بعد غروب الشمس، وأن الضباع حيوانات تأكل الجيف وتنبش القبور ووصفوا سواد

[1]- ابو عثمان عمر بن الجاحظ، الحيوان، المصدر نفسه، ص 20.

الغراب الحالك وصفاء عيونها الشديد ناهيك عن وصف مشي الحيوانات وزحفها وألوانها وأصواتها ومساكنها ومخابئها.

كان كثيـر من الشعراء يستمـدون بعضـا من صورهم الشعرية واستعاراتهم من صورة الحيوان وشكله، وعلى هذا النحو أسقط كثير من الشعراء على الحيوان والطيـر دلالات نفسية وشعـورية فالقـطا عندهم تنطق وتتكلم، والطير يصدح وينوح والحمام يبكي ويسجح هو ما يدل على الصلة الوثيقة التي كانت بين الحيوان والإنسان والشعر العربي.

الفصل الأول

الحيوان موضوع للوصف

المبحث الأول: وصف الحيوانات الأليفة

كان الحيوان بالنسبة للجاهلي رفيقا في السفر وشريكا في الكفاح ضد مؤثرات الطبيعة وعواملها، وقد أنس خلال عشرته الطويلة بطباعه، كما اطلع على مميزاته فجعل يصف الحيوانات ويذكرها في شعره بدقة، ولعل الناقة والفرس من أهم المواضيع لارتباطهما بالواقع الجاهلي واضطراره إليهما في تنازع عيشه وبقائه.

أ- الناقـــة:

" ومن الحيوانات التي كان لها الحضور المميز في الشعر الجاهلي **الناقة"** بل لا تكاد تخلو قصيدة جاهلية من وجودها، مما جعلها عنصرا قويا في تشكيل الصورة الكلية داخل القصيدة الجاهلية "[1].

فالناقة من أكثر الحيوانات الموصوفة في الشعر الجاهلي وصفا مسهبا، فقد كانت لها مكانة نبيلة، فهي الرفيق الطيب في السفر والمال الذي تقاس به الثروة ومصدر الخصب والنماء، حيث مضى ولع الشعراء برفقتها وحنينهم الدائب إلى تصويرها والحديث عنها وإمضائهم الهموم والتسلية بها، فأخذها الشعراء الجاهليون بعدة أوصاف منها: الناجية، الأدماء، العنس، الذهول، الذعبلة، الشملة الوجناء، العيرانة، البازل، العرمس، ذات البراية، الشملال، الأمون، القلوص الرسامة، الطليح، البادن، الأتان، الثميل، صادقة، الهواجر...

[1]- محمد بلوحي، آلية النقد العربي المعاصر في مقاربة الشعر الجاهلي (بحث في تجليات القراءة السياقية)، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بالجزائر، 1425م، الجزء الأول، 1983، ص 261.

وأخرى سواها أقل دورانا منها تؤلف معجما لغويا صغيرا يصح أن نطلق عليه **"معجم الإبل"** وسنقوم بدورنا بشرح بعض أوصافها وهي:

1- القلوص: الناقــة الشابة.

2- العيرانة: الناقة التي تشبه البعير في نشاطها وسرعتها.

3- جلذية: ناقة صلبة.

4- ناجية: الناقة السريعة.

5- الشدنية: الناقة الفتية.

6- بعلنداة: الناقة الشدية.

7- الحلائب السود: فهي في قطيع الإبل تمثل الثراء الذي ينعم به بعض أهل الجاهلية لأن السواد في الإبل نادر وغالبا ما تكون النوق السود أكثر درة ولبنا"[1].

ولا غرابة إذا كان العربي يكن للناقة الحب والإعجاب، فقد سخرت منقادة لكل من اقتادها فهي لا تمانع صغيرا ولا تقاوي ضعيفا وهي بالنسبة للشاعر الجاهلي بساطه السحري يجوب بها الآفاق والطباق، حتى يصل إلى مقصوده وغرضه.

ومن فرط تعلقه بها أخذ يصفها في وقت راحتها واسترخائها من السير، فهي في نظره جميلة كمحبوبته، يصف طول سنامها، وضخامة سواعدها .

[1]- أنور أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، دار العلوم، الرياض، الجزء الأول، 1983، ص 261.

وبالرغم من أن جل شعراء الجاهلية وصفوا الناقة إلا أنك بعد مطالعتك هذا الوصف يمكنك أن تقول هذه ناقة طرفة وتلك ناقة امرؤ القيس أو عبدة بن طيب أو المثقب العبدي أو الحارث بن حلزة وذلك لما إتسم به كل واصف لناقته من سيمات شخصية أو أمور نفسية أو أوضاع اجتماعية[1]."

فهذه ناقة امرئ القيس التي تعينـــه على بلوغ محبـوبته التـي هجـرته بعد وصل وانتقــلت مع أهلها إلى مكان بعيد لا يبلغها إلا العتاق الناجيات المراسيل فهو ينطلق من ورائها يقف إلى خيمتها حذرا متوجسا خشية الرقباء وهو يصف شدة موقفه وهو بهذا الموضع على ناقته مناجيا لها وكأنه فوق أحد الحمر الوحشية التي تستعد للعدو إذا ما عن لها بشر أو ألم بها خطر، يقول:

أمـــاوي هـــل لـــي عنـــدكم مـــن أم الصـرم تختَـاري بالوصـــل تيـأس
أَبينـي لَنـا إن الصـريمـة رَاحـــة مـن الشـك ذِي اَلمخـلُوجة اُلمتَلبـس
كَأَنَنِـي ورحْـبِـي فَوْق أحقب قَـارح بِشَرْبـةٍ أَوْطَـار بِعرنـان موجـــس
تـَعَشى قَلِيلاً، ثُمَّ أَنحَـــى ظُلُوفَـــهُ يثِيـر التـراب عـن مبيـت ومَكـنـس
يَهِيـــل ويـذري تربهـــا ويثِـــره إثـارة نبـات الهواجـــر مُخمـس

"وإذا وصف الشاعر الجاهلي جسد ناقته نحت لها صفاتها نحتا دقيقا لا تفوته أدق التفصيلات وأخفاها، ومن الصفات المثالية للناقة عنبدة أنها نشيطة كثيفة وبر

[1]- علي أحمد الخطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللسانية، جامعة الأزهر الشريف، ص 127.

[2]- امرؤ القيس، الديوان، حققه وبوبه وضبط بالشكل أبياته حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ص 96.

الذيل، عظيمة الفخذين، محنية فقرات الظهر، محكمة المرفقين مكتترة اللحم عظيمة الوجنات ذكية القلب، قوية السير والعدو، وواسعة الإبط".[1]

وهذه الصفات ذكرها طرفة بن العبد " في معلقته في ثمانية وعشرين بيتا، وهي من أطول ما وصلنا في وصف الناقة يقول:

وإني لأمضي الهم عند احتضاره ... بعوجاء مرقال تروح

أمون كألواح الأران نصأتها ... على لاحب كأنه ظهر برجد

جمالية وجناء ترتدي كأنها ... سفنجة تبري لأزعر أربد

تباري عتاقا ناجيات، وأتبعت ... وظيفا وظيفا فوق مور معبد

تربعت القفين في الشول ترتعي ... حدائق مولي الأسرة أغيد

تريع إلى صوت المهيب، وتنقي ... بذي خصل، روعات أكلف ملبد

كأن جناحي مضرجي تكنفا ... حفافيه شكا في العسيب بمسرد

وأعلم مخروت من الأنف مارن ... عتيق متى ترجم به الأرض

فطورا به خلف الزميل، وتارة ... على حشف كالشن ذاو مجدد

لها فخذان أكمل النحض فيهما ... كأنهما بابا منيف ممرد

وطي محال كالحني خلوفه ... وأجرنه لزت بدأي منضد

كأن كناسي ضالة يكنفانها ... وأطر قسي تحت صلب

[1]- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، الدار الدولية للاستثمار الثقافية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2008، ص 221.

لهـا مرفقـــان أفـتـــلان كأنـهـــــا تمـر بسلمـــي دالــج متســـــــدد

كقنطـرة الرومـي أقسـم ربهـــــا لتكتنفـــــن حتـــــى تشـــــاد

صهـابية العثنـون موجـدة القـــــرا بعيدة وخـذ الرجـل موارة اليـــد

أمـرت يـداها فتـل شـــزر وأجنحـت لها عضداهـا في سقيـف مسنـــد

جنـوح دفـاق عنـدل ثـــم أفرعـــت لها كتفاهـا في معالى مصعـــــد

كـــأن علـوب النسـع فـــي دأياتهـــا مـوارد مـن خلقـــاء فـي ظهـر

تلاقـى وأحيانـــا تبيـــن كأنـهـــــا بنائـــــق غـــــر فـــي قميـــص

وأتلـع نهـاض إذا صعـــدت بـــــه كســـكان بوصـــــــي بدجلـــــة

وجمجمـة مثـل العـــلاة كأنمـــــــا وعـى الملتقـى منهـا إلـــى حـرف

وخـد كقرطـاس الشـآمي ومشفـــــر كسـبـــت اليـــماني قـــده لـــم

وعينـــان كالمـا ويتيـــن استكنتـــــا بكهـفي حجـاجي صخـــرة قلـت

طحـوران عـور القـــذي فتـراهمـــا كمكحـــــولتي مذعـــــورة أم

وصـادقتا سمـع التـوجس للســـرى لهجـــس خفـــي أو لصـوت

مؤللـتـــان تـــعـرف العتـــق فيهـــا كسامعتـــــي شـــــاة بحـومـــل

وأروع نبـــاض أحـــذ ملمـلـــم كمـرداة صخـــر فـي صفيـــح

وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت مخافـــــة ملـــوي مـــن القـــــد

فالشاعر طرفة بن العبد يتسلى بناقته عندما يعلوه الهم فتذهبه، ثم تحدث عن منظرها العام وتعودها السفر وقوتها وسرعتها وتفوقها وغذائها وذكائها، ثم وصف كثيرا من أعضاء جسمها: الذيل، الضرع، الفخذان، الأضلاع وفقر الظهر والمرفقان وضخامة الجسم وسعة الجوف والعثنون واليدان والكتفان والرأس والصدر والحلقوم وحركة اليدين والرجلين عند الجري وآثار السيول التي تربط بها الرحل في جسمها، وتحدث عن عنق الناقة وحركته والخد والمشفر والعينين والأذنين والقلب وشق شفتيها العليا، وسرعتها وبعد الانتهاء من الحديث عن أعضائها قال: إن هذه الناقة تعينه على القيام بواجباته وتحقيق ما يريد من المفاخر والأمجاد .

كما وصفها "النابغة الذبياني" بالشدة والصلابة فهي لا تحس بصعوبة الطريق ولا تضعف الركاب وإنما تظل نشيطة حيث يقول:

جاوزته بعلنداة مناقلة وعر الطريق على الأحزان مضمار

تجتاب أرضا إلى أرض بذي زجل ماض على الهول هاد غير محيار

إذا الركاب و نت عنها ركائبها تشذرت ببعيد الفتر خطار[1]

[1]-النابغة الذبياني، الديوان، اعتنى به وشرحه، حمدو طماس، دار المعرفة، لبنان، ط 1، 1424هـ-2003م، ص 50.

يريد الشاعر أن يخرج بالناقة عن تلك الطبيعة المعتادة في الكائنات لذا فهو يصعد فيها قوة التماسك والمقاومة إلى أبعد حد كي تخرج عنده مدججة بكل ما هو قوي فتصبح شاذة ولا النهائية في الطرح.

ويقص علينا "أوس بن حجر" طرفا من أخبار ناقته فهي إبل كريمة متخيرة غذائها اللجين والرضيخ والخلي، وقام على إصلاحها والعناية بها خادم أو أكثر حين يقول:

وقد ثوت نصف حول أشد جددا يسعى على رحلها بالخيرة المور [1]

وهكذا فتنت الناقة الشاعر الجاهلي فتنة بعيدة، فموضوعها من أشق الموضوعات وأكثرها أبعادا في الشعر الجاهلي فوقف الشاعر يتأملها ويردد بصره فيها، فكلما يقترب منها يحدق فيها ويعلو ويسرف في التحديق فيها فلا يترك شاردة ولا واردة حيث وصفها عضوا عضوا، وبذلك فقد نعتا في كل أحوالها في بروكا ووقوفها ورحيلها ويصف هيئتها وطباعها وما يدخل صدرها من أحاسيس ومشاعر ويتحدث عن علاقتها به وموقفه منها وأفاض في الحديث عنها في أحوالها جميعا.

[1]- أوس بن حجر، الديوان، دار صادر، بيروت، ط 2، 1967 .

ب-الفرس:

" للخيل مكانة خاصة في المجتمع العربي، استأثر بحب العرب منذ القديم ولم يكونوا يكرمون شيئا إكرامهم لها، وقد تغنوا بهذا الحب مثلما فعل أبو داؤد الإيادي.

علق قلبي حب قلبي مقتلا وإذا تاب عندي الإكثار

وقد أعزوها وباهوا بها، وعدوها بمثابة أولادهم، بل أحيانا فضلوها عليهم، وهنأ بعضهم بعضا إذا ولدت لهم فرسا، فالفرس في السلم مفخرة وعون، في الحرب حصن حصين.

ومن مظاهر إعزازهم للخيل أنهم سموها ونسبوها وقد ذكر بن الكلبي في كتابه "أنساب الخيل: " أكثر من مائة فرس من أفراس الجاهلية والإسلام من نسبتها على أصحابها."

وأضيفت أسماء الفرسان إلى أسماء الأفراس مثل: زيد الخيل، طفيل الخيل، وكان السادة يعنون بها أنفسهم ويدربونها وتتبع أهمية الخيل عند الجاهلي أنها كانت أداته في الغارة، التي تقوم عليها حياته وأداته في القتال والدفاع ولا ينفعه في ذلك ناقة ولا بعير".[1]

ولذا نجد الجاهلي يفضلها على نفسه وآله ويلتمس لها أحب الأسماء إليه، وربما اشتق لها اسما لصفة يراها فيها، ويرجع ارتباط العربي بالخيل في الجاهلية إلى حاجته لها في السلم والحرب والحياة جميعا،

[1]- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص 218.

"وتدور أحاديث الخيل في الشعر الجاهلي عادة حول أمور ثلاثة نعت أجزاء جسم الفرس، المنظر العام للجسم، الألوان المستحبة"[1].

ومن خير من يصور لنا ذلك الشاعر امرؤ القيس الذي يصف لنا فرسه لونا وحركة وشكلا، فهو كميت اللون، عنيف، إذا بدأ الجري لا يكاد يلوي على شيء بل إن فارسه يكد يزل عن متنه مضطربا حتى إن حركته لا تكاد تستقر على شيء لخفته فهو يكر ويفر ويقبل ويدبر إذا ما أريد منه ذلك في لحظة خاطفة وهو في أثناء ذلك يهدر بصوت يشبه غليان الماء في المرجل، وهو في انسيابه أملس كالحجر الذي يستخدم في سحق الطيب، يقول:

قد أغتدي والطير في وكناتها منجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

على الذيل حياش كأن اهتزامه إذا حاش فيه حميه عي

مسج إذا ما السابحات على الوني أثرن الغبار بالكديد المركل

يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثقل

[1]- عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 3، 1425هـ - 2004، ص 129 .

[2]- امرئ القيس، الديوان، ص 45، ص 46.

دريـــر كـــخذروف الوليـــد أمـــره تتـــابع كفـــــيه بخيـط موصـل

لـــه أيطـلا ظبـي وساقـــا نعامـــة وإرخـــاء ســـرحان وتعريـــب

صـليع إذا استدبـــرته سـد فرجـــه بضـــاف قويـــق الأرض لـــيس

كـــأن علـى المتنين منـه إذا انتحـى مداك عـروس أو صلابة حنطـــل

كـــــأن دمـــاء الهاديـــات بنحـــره عصـارة حنـاء بشيـــب مرجـل[1]

وتـــبرز لنـــا أيـــضـا " فـــرس عـــنـــترة العـــبسي والـــذي يمتـــطي صـــهـــوتهـــا حـــين يخـــــوض بهـــا المـــعارك بعد رؤيـــتـه للقـــوم الذيـــن يـتذامـــرون ويحـــرض بـــعـــضـــهم بـــعـــضـــا عـلى القـــتـال فيـعـقـــب ذلـــك كـل مـــــن عـــنـــتـرة إثـــــــر دعوتهـــم لـــــه واستعانتهـــم بـــه في وقـت سكنـت فيه الألـــسنـة ونطـــقـت الأسنـــة وتكلمت الرمـــاح، فمـــا يـــزال يرمـــيـــهـــم بـــغـــرة وجـــهـــه حتى صـــار الدم ســـروالا لـه وقميصـــا يغـــطي جميـع جســده مـن كـثـــرة الـــدماء المـهـراقة من أجـساد الأعـداء وأبـــدان الخصـــوم وعندمـا اسمـــهر الأمـر، وأدلهم الخـطـــب و كـثـــر الكر والـفـــر، ازور الـــفـــرس وتمـايـــل مـــن وقـــع القـــنـا وشـكـا إلـــيه بـعبرة وتحمحم وأنه لو كان يدري المحـــــاورة اشـــتكـــــى، وإن الخـــيـل تـقـتحم الأرض اللـينة وهـي حالـكـة من الجهد الـــذي أصابها والإعياء النازل بها.

[1]- امرئ القيس، الديوان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص26، ص27.

يقول عنترة:

لمـا رأيـت القـوم أقبـل جمعهـم يتـذامرون كـــررت غيـر مذمـــم

يدعون عنتر والرماح كأنهـــــا أشـطان بئـر فـي لبـان الأدهـــم

ما زلت أرميهم بثغرة نحـــــره ولبـانـه حـتى تسـربـل بـالـــدم

فازور من وقع القنا من لبانـــه وشـكا إلـى بعـبـــرة وتحـمحـــم

لـو كـان يـدري مـا المحـــاورة ولكـان لـو علـم الكـلام مكلـــــم

ولقد شفي نفسي وأذهب سقمـهـــا قيـل الفـوارس ويـك عنـتر أقدم

والخيل تقتحـم الخبـار عوابسـا مـن بـين شـظمة وأخـر شـظـــم[1]

"فهو - عنترة – حـين يندفـع في الهجـوم على الأعـداء تنهـال عـليـه الطعنات وتـتراشق الرمـاح الطـوال في صـدر الحصـان حتى يـكتســي سـروالا من الـدمـاء ويحـاول الحصان أن يتفاداها بالميل عنها ويلتفـت إلى عنـترة شـاكيا ولو كان يـستطـيع الكـلام لأجاد الحـوار والمـنـاقـشـة وهـو جـواد أصـيل قـــوي التـحمـل، رائـع الأداء في أشـد الظـروف وأصعـــب الأمـاكن"[2].

[1]- عنترة بن شداد، الديوان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 26، ص 27

[2]- علي الجندي، من ينابيع الثقافة، عيون الشعر العربي القديم، دار الغرب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، المعلقات السبع، الجزء 1، ص 317.

ويصف أبو داؤد الأيادي فرسه بالأحوزي وهي السريع من الخيل ذو قوة وقوة، وهو يخالط الأمور ويفارقها، ويكر ويفر ويدخل في كل شيء وهو يعيد النظر الطويل، كما أنه محمول فوق رماح، وظهره منتظم ومتسق فيقول:

ولقد اغتدي بدافع ركني أحوزي ذو ميعة إضريج

مخلط مزيل مكر مفر منقح مطرح سبوح خروج

سهلب سرحب كأن رماحا حملته وفي السراة دموج[1]

ويقول " النابغة الجعدي" وهو من الشعراء المخضرمين:

كأن مسقط شراسيفه إلى القتب فالمنقب

لطمن بترس شديد الصفا من خشب الجوز لم يثقب[2]

وهكذا بلغ اعتزازهم بالخيل أنهم كانوا يحفظونها قريبا من منازلهم ولا يرسلونها للرعي مع بقية أنعامهم، وكذلك لكرامتها لديهم الحفاظ عليها حبا فيها.

قال " عامر بن الطفيل":

مقربات كالهيم شعت النواصي قد رفعن من حضرها فاستدرت[3]

[1]- ينظر، علي أحمد الخطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، ص 120.

[2]- ينظر، علي أحمد الخطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، المرجع نفسه، ص 120.

[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص 121.

كما كان يهيأ لها أحسن الأطعمة صيفا وشتاءا حتى في زمن القحط قال "عنترة":

مقربـــة الشتـــاء ولا تراهـــــا وراء الحي تتبعها المهـــــــــار

لها بالصيف أصبرة وجـــــــل ونبت مـن كرائمهـــا غـــزار[1]

وكانت تصنع لها النعال حفاظا على حوافرها وحماية لها من أن تصاب أقدامها بالحفى. قال " زهير:"

تخطوا على ربذات غير قـــادرة تحذى وتعقد في أرساغهـا الخدم[2]

وعنوا بها عناية فائقة ويفخرون بأن عنايتهم بها جعلت خيولهم في حال حسنة.

ج-الكلاب: وقد وصف الشعراء الجاهليين الكلاب "واتخذوا من جبنها وعدم نباحها للضيفان دليلا على كرم صاحبها، كما أنهم اتخذوا من نباحها للوافدين دليلا على الشح والبخل، وكانوا يهدون الغرباء إلى ديارهم إذا ظل أحدهم ليلا يستنبح الكلاب ليهتدي إلى من يكرمه ويأويه ويؤنس وحشته ".

وفي هذا المعنى يقول "حاتم بن عبد الله الطائي":

إذا ما بخيل القوم هرت كلابـه وشق على الضيف الغريب عقورها

فإني جبان الكلب بيتي موطـــأ أجود إذا ما النفس شـح ضميرهـا

وإن كلابـي قـد أقرت وعودت قليل على مـن يعترينـا هريـرهـا

[1]- عنترة بن شداد، الديوان، ص41.

[2]- زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه وضبطه وقدم له، فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 80.

فجعل الشاعر كلبهم جبانا لكثرة من يخشاهم من النزال والأضياف، فقد ألفتهم كلابهم، وأنست بهم، وهي تصيب مما ينحر لهم، وتشاركهم فيه .

كما أنهم أبرزوا خصائصهم من سرعة وقوة ونشاط وحدة في السمع والبصر، يقول "امرؤ القيس:"

فيدركنا فغم داجن سميع بصير طلوب نكر

ألص الضروس حني الضلوع تبوع طلوب نشيط أشر [1]

ووصف "المذرد بن ضرار الذبياني" صائد الصيد بقوسه وأكلبه:

لنعت صباحي طويل شقاؤه له رقميات وصفراء ذابل

بقين له مما يسرى وأكلب تقلقل في أعناقهن السلاسل

سمام ومقلاء القنيص وسلهب وجدلاء والسرحان والمتناول

بنات سلوقيين كانا حياته فماتا فأودى شخصه فهو خامل

وأيقن إذا ماتا بجوع وخيبة وقال له الشيطان: إنك عائل

فطوف في أصحابه يستثيبهم فآب وقد أكدت عليه المسائل

إلى صبي مثل المغالي وخرمل رواد ومن شر النساء الخرامل

فقال لها: هل من طعام فإنني أذم إليك الناس أمك هابل

فقالت: نعم هذا الطوى وماؤه ومحترف من حائل الجلد قاحل

[1]- امرئ القيس، الديوان، ص 234، ص 235.

فلما تناهت نفسه من طعامـــــه وأمسى طليحا ما يعانيه باطـــل

تغشى يريد النوم فضل ردائــه فأعيا على العين الرقـاد البلابــل[1]

ويشـــــير الشـــاعر إلى فقـــدان الصـائد لكـــلبيه، وسوء حـاله، فـــهـــــو يصـــف الكـــلاب بـــأن السـلاسل في أعـــناقها ثم يـــذكـــر أسمـــاء الكـــلاب مـبرزا خصـائـصـها ومـا امـــتاز بـه كـل واحد عن الآخر فـــالأول أســـود والثـاني دارك للـــصيـــد والثـالـث طـويـل والرابـع مجـدولـة والخـامـــس ذئـب والســـادس لحـاق وهـــذه الأكلـب منحـدرة من أب وأم سـلوقـــــيين كانـــا عـونه على حياته الشاقة فلما مـاتا أصيـب بالفـــــــاقة وأصبـــــح خاملا فهـــو لم يستـــــطع الصيـــــد بدونهـــــــما ثم استجـدى أصحابه واستعان بهم فلم يخـــف أحد منهم لنجـدته ومعـاونـته وقد سـدت سبـــل الرزق في وجـهـه وآب إلى صبـــــية ضـعـــاف وزوج حمـــقـــــاء ترتـــــاد بيوت الجيران سائـــــلة إياهـــــــم الطعـام، فذكـرها بـبخل النـــــاس، فأومأت إليه أن يشرب من ماء البئر، وأن يأكـــل الجـــلـد اليابـس، فقد تحـــل جسمـــه وتأبى علـيه النوم من شدة ما يعـــــــاني من ألم الجـــــوع.

[1]- ينظر، أبي العباس المفصل بن محمد الظبي، المفضليات، تحقيق عمر فاروق الطباع، در الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 14هـ ، 1998، ص 101.

المبحث الثاني: وصف الحيوانات البرية

لم يغادر الشعراء الجاهليون شيئا من مظاهر الطبيعة إلا سلطوا عليه مناظرهم الشعرية فأتوا لنا بالعجب العجاب فقد أثرت البيئة في حياتهم الصاخبة الصارخة التي لا يستقر لها قرار ولا ينطفئ للهيبها أوار، فلونت شعرهم بما يلائم هذه الحياة فوصفوها أجمع وصف وصوروها أحكم تصوير، ولم يتركوا في الفوات والمغازات إذ كانو

وحوشها الضارية ودئابها العاوية وحمرها القارحة.

أ- الثور الوحشي:

ينفرد الثور الوحشي باهتمام شديد عند أكثر شعراء الجاهلية فبعد أن يفرغ الشعراء من وصف ناقة الرحلة نجدهم يلتفتون إلى الثور الوحشي باهتمام خاص، ويقصون حكايته فيصفون "وحدته وانفراده عن قطيع الوحش في رملة ندية، وفي روضة معشبة أو في برقة جرداء مختالا بقوته معتزا بعنفوانه هانئا بوحدته، ثم يصفون لونه وقوامه وأعضاءه وقرنيه وعينيه وجلده وأنفه "[1].

لقد صوروا الثور قبل المعركة، وفي أثنائها وبعدها ووصفوا انفعالاته وحركاته، وفي لوحة الثور نجده هو البطل الذي يحظى باهتمام الشاعر، فيمضي في رسمه بأناة وعناء،

[1]- مصطفى عبد الشاف الشوري، الشعر الجاهلي، تفسير أسطوري، الشركة المصرية العالمية للنشر، لو نجمان، ط 1، 1996، ص 112.

وتكون الكلاب هي الشخصية الثانوية، أما الصياد فهو أقل شخصيات هذا الحدث حظا من العناية والاهتمام.

ويظهر هذا في قول النابغة:

فارتاع من صوت كلاب فبات له طوع السوامت من خوف ومن صرد

فبثهن عليه واستمر به صمع الكعوب بريئات من الحرد

وكأن ضمران منه حيث يوزعه طعن المعارك عند المحجر النجد [1]

وكما نرى "لبيد بن ربيعة" يصف البقرة الوحشية تلك البقرة التي فقدت ولدها وهي لا تدري أن السباع قد مزقته وأصبح أشلاء معفرة بالتراب ويلجأها التعب آخر النهار، إلى جوف خميلة، فباتت ليلتها حائرة مضطربة في وسط الليل الكثيف والأمار الغزيرة وحين لاح نور الصباح خرجت البقرة مسرعة لتواصل البحث عن ولدها لعلها تجده، واستمر البحث سبع ليال ولما يئست من العثور عليه جف ضرعها الذي كان عامرا باللين وخافت البقرة أن تلقى مصير ولدها بعد أن سمعت أصواتا خفية، وظنت أن الرماة يحيطون بها من كل جانب، وعندما ظهر لها هؤلاء الرماة لم يستطيعوا إصابتها بسهامهم وقبلهم فأطلقوا كلابهم المدربة نحوها، ودخلت البقرة معركة مصيرية حاسمة معها وخرجت منتصرة بعد أن صرعت الكلبين منها يقول:

[1]- النابغة الذبياني ، الديوان، ص 33، 34.

أفتلـــك أم وحشيـــــة مسبوعـــــة خـذلت وهـــادية الصـــوار قوامهـــا

خنساء ضيـعت القرير فلم يـــرم عـرض الشـقائق طوفهـا وبغامهـــا

لمـعفـــر قهـــد تنـــازع شلـــوه غـبس كواسـب لا يمـــن طعـــامها

صـادفن منهـــا غـــرة فأصـبنهـــا إن المنايـــا لا تـطيـش سـهـــامها

باتـــت وأسـبـــل واكـف مـــن يمـــة يـــروي الخمائـــل دائمـــا

يعلـوا طريقـــة متنهـــا متـــوتر فـي ليلـة كفـــر النجـوم غمامهـا[1]

تجتـــاف أصـــلا قالصـــا متنبـــذا بعجـوب أنـقـاء يمـــيل هيامـهـا

وتضـيء في وجـه الظـلام منيـــرة كجمانة البـحـري سـل نـظامـهـا

حتـى إذا انحـسر الظـلام وأسفرت بـكرت تـزل عن الثرى أزلامهـا

عـهت تـردد فـي نهـاء صعائـــد سبعـا تؤامـــا كـاملا أيـامـهـــا

حـتى إذا يئـست و أسحق حالـق لـم يبـلـه إرضاعهـا وفـطامـهـا

وتوجست رز الأنـيـس فراعـهـــا عن ظهر غيـب، والأنيس سقامهـا

فغدت كـلا الفرجـين تحسـب أنـه مـولى المخافـة خلـفهـــا وأمـامـها

حـــتى إذا يئـس الـرماة وأرسـلـوا عـضفـــا دواجـــن قـافـــلا

فلحقـن واعتكـرت لهـا مدريـــة كالسـمـهريـــة حدهـــا وتمامـهـــا

لتـذودهن وأيـقـنـت إن لـم تـــذد أن قد أحـم مع الحتوف حمامـهـــا

[1]- لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، شرحه و ضبط نصوصه، وقدم له، عر فاروق الطباع، ص145حتى 147.

فتقصدت منها كساب فضرجت بدم وعودر في المكر سخامها[1]

ب- الحمير الوحشية:

ومن الصور التي تتكرر كثيرا في الشعر الجاهلي صورة الحمر وأتونها الوحشية، وقد أغرم بها الشعراء وأكثروا من إيرادها وهذه الصور متفقة فيما بينها من الأحداث وإن اختلفت المقدمات والنهايات.

فكانوا بحق صادقين في تصوير ذلك والشاعر يتحدث عن الوقت الذي وردت فيه لتشرب،

هذا وصف "أبي ذؤيب" لحمر الوحش وصائدها وكيف ترد الحمر الوحشية الماء، وكيف يحتال الصائد كي يظفر بها ويصطادها، قال:

فوردن والعيوق مقعد رابىء الضرباء خلف النجم لا يتتلع

فشرعن مجرات عذب بارد حصب البطاح تغيب فيه

فشربن ثم سمعن حسا دونه شرف الحجاب وريب قرع

فنكرنه فنفرن فامترست له هوجاء هادية، وهاد جرشع

[1]- لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، ص 148، ص 149.

فرمى فأنفذ من نجود عائـــط سهمـــــا فـخـــــر وريشـــــه

فنـــدا له أقـــراب هذا رائعـــا عجـــلا فعيـــث فـــي الكنـــانة

فرمى فألحق صاعديـــا مطحـرا بالـكشـــــج فاشـتـمـلـــــت

فأبـــدهـن حتوفـهـن فهـارب بدمـائـــــــه أو بـــــــارك

ذكرها لبيد في معلقته حينما أراد أن يصور سرعة ناقته فقال:

بطليح أســفـار تـركـن بقيـة منهـا فأحنق صـلبـها وسنامـهـا

وإذا تغالى لحمها وتحســرت وتقطعت بعد الكـــلال خـــدامـهـا

فلهـا هباب في الزمـام كأنهـا صهباء خف مع الجنـوب جهامـها

أو ملمـع وسقت لأحقب لاحـه طرد الفحول وضـربها وكـدامـها

يعلو بها حدب الإكام مسجـح قد را به عصيانـــه ووحامهـــا

بأحـزة الثـلبـوت يربـأ فوقها قـفـر المراقـب خوفـها آرامـها

حتـى إذا سلخـــا جمـادى ستـة جـــزءا فطال صيامــه وصيامها

رجعـا بأمرهما إلـى ذي مـــرة حصيد، ونجح صريمة إبرامهـــا[2]

ورمى دوابرها السـفا وتهيجـت ريح المصايف سومها وسهامـهـــا

فتنازعـــا سبطا يـطـــير طلاله كـدخان مشعلـــة يشـب ضرامـهـا

مشـمـولة غلثـت بنابـت عرفـج كدخـان نـار ســاطـع أسنامـــهـا

فتـوسـطا عرض السـري وصـدعا مسجـــورة متجـــاورا قـلامـهـــا

[1]- ينظر، أبي عباس المفصل الظبي، المفصليات، ص 415.

[2]- لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، ص 142، ص143.

محفوفة وسط اليراع يظلمها منه مصرع غابة وقيامها[1]

فالشاعر يصف سرعة ناقته فيقول أنها سرعة أتان قد حملت من غير شديد الغيرة عليها، فجعل يطرد الفحول عنها ويدخل معهم في معارك عديدة ظهرت أثارها في جسمه، فكان يسوق الأتان أمامه ويصعد بها الهضاب والمرتفعات التي كانت أكثر ما يخيفها ما كان في تلك الأماكن من آرام خشية ما يكون مستترا خلفها من خطر عليهما، ولما انتهى فصل الشتاء والبرد وكانا قد امتنعا عن الشرب ستة أشهر وجاء الصيف بحره القاسي اشتد بهما العطش، وانطلقا في سرعة هائلة يبحثان عن ماء ليطفا ضمأهما وكانا يثيران خلفهما غبارا كثيفا يحجب الشمس والضوء حتى انتهيا إلى عين يتدفق منها الماء وكانت محاطة بالقصب من كل ناحية فشربا وارتويا.

ج-الذئاب:

الذئب هو ذلك الحيوان الوحش الذي اهتم به العربي القديم اهتماما بالغا فجاء شعره زاخرا بالحديث عنه ولعل ذلك " لأنه من الحيوانات التي تعيش بالقرب من الديار العامرة، ويجد فيه الشاعر الغدر والخيانة والخبث

[1]- لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، ص 144، ص 145.

والظلم والمراوغة والتلصص والتربص، كما يجد فيه السفاهة إذ يضيع ما يكسب ويجد فيه رمزا للإنسان الجافي وهو الحذر اليقظ الذي ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع والشعر القديم صور ذلك كله تصويرا دقيقا متكاملا"[1].

كما نجد شاعر يصف الذئب من الداخل وصف خبير مشاهد معاين وآخر يصفه من الخارج وشتان بين هذا وذاك.

ولكن أخبر الناس بالذئاب هم الصعاليك ولذا فهم يصفونه من الداخل ويتميز الصعاليك من بين سائر الشعراء في تناولهم للذئب فهم ذؤبان العرب الذين تألفوا وتوحدوا مع ((الذئاب الوحشية)) بحيث يمكننا أن نضع شعرهم تحت عنوان "أنسنة الذئب" و"تذؤب الإنسان "[2].

يقول الشنفرى:

فلما لواه القوت من حيث امه دعا فأجابته نظائر نحل

مهلهلة شيب الوجوه كأنها قداح بكفي ياسر تقلقل

أو الحشرم المبعوث حثحث دبره محابيض أرداهن سام معسل

مهرتة فوه كأن شدوفها شقوق العصي كالحات وبسل

[1]- زكريا عبد المجيد النوتي، مقدمة الذئب في الأدب القديم، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2004.

[2]- المرجع نفسه.

وضـج وضجـت بـالبـراح كـأنهـا وإيـاه نـتـوح فـوق علـيـاء ثـكـل

وأعضى وأعضت واتسى واتست بـه مـراميـل عـزاهـا وعـزتـه مـرمـل

ارعوى بـعـد وشكا وشكت ثم ارعـوت وللصـبر إن لم ... الشكو أجمـل

ووفـاء وفـاءت بـادرات وكـلـهـا على نكـط مها يكـاتم مجمـل[1]

كـما وصـفـها الـشـاعـر" بن معد يكرب" وهـو يـصـف مـكـانـا قـفـرا به الذئب مـفـترسـا يديه فيقول:

به السرحان مفترشا يديه كأن بياضا ليته الصديع[2]

وها هو ذا الشاعر "المرقش الأكبر" يصف يصف ذئبا أطلس رأى نارا موقدة فأوى إليها ولجأ إلى موقدها فيقول:

ولمـا أضأنا النار عنـد شوائنـا عـرانـا عليهـا أطلـس اللـون بائـس

نبـدت إليـه جـزة من شـوائـنـا حياءا و ما فحشني على من أجالـس

فـآب بها جذلان ينفض رأسـه كما آب بالنـهـب الكـمي المـخـالـس[3]

نـزل بـنـا ذئـب أطـلـس اللـون حمصي البطـن بـائس الحاو ذلك عندمـا رأى ضـوء النـار المـوقـد، فـرق لـه قـلبـي وإن يكـن هـو غليظ الـقلـب ورقـت لـبـؤسـه نـفسـي وإن يـكـن هـو خـبيث النـفـس فرمـيت لـه بـقـطـعـة مـن الـشـواء حـياءا وخـشـيـة أن

[1]-محمد علي أبو حميدة، في العبور الحضاري للأمية العب الشنفرى، دراسة إبداعية نقدية، دار عمار، الطبعة 1، 1998، ص 10.

[2]- ينظر، علي أحمد الخطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، ص189.

[3]-ينظر، المرجع نفسه، ص 191.

يقال بخل على حيوان بائس جائع، فأب الذئب جدلان فرحا ينفض رأسه في حبور بما ظفر من الشواء مثله في ذلك الكمي المسلح الذي آب بالنهد.

وبديهي أن تتباين أدوات الشعراء في صورهم ومواقفهم ومنطلقلاتهم فبينما تجد شاعر يتذأب له، وآخر يكمن ويتربص تجد آخر يأسى لحاله حين يراه يتضور جوعا فيعطف عليه ويكرمه، ويأنس له ويحدثه ..... بل ويبالغ أحدهم - حينا – فيبادر إلى دعوته إلى الطعام ويقتسم الزاد معه بالسوية.

د -الأسد:

كان الأسد يوجد بكثرة في الجزيرة العربية يومذاك، والدليل على وجوده بوفرة وروده في أشعارهم، وكثرة الأسماء والصفات التي وضعت له وكثرة الأماكن التي تنسب إليه مثل" الشرى وعثر وعود، وخفان وحاملة، والملاحيظ وحليه والسمول وتبالة وبيشة"[1].

وها هو ذا "عنترة بن شداد العبسي" يصف أسدا، وأن أعداءه أرادوا الثأر منه فلم يقدروا عليه، فتمنوا أن يدركوا ثأرهم وتتحقق لهم أمنيهم على يد غيرهم، وإن لم يتحقق لهم ذلك الحلم وتلك الأمنية فهم يرحون أن يلقاه أسد عريض الساعدين مبسوط الصدر يسكن أجمة كثيفة الأشجار يغطي متنه قصبها، فإذا

[1]- ينظر، المرجع نفسه، ص 187.

برز منها إلى الصحراء كانت وثبته عليه فيتركه مجدلا ومضرجا في دمائه، وبذلك ينالون ثأرهم منه، وهذا الأسد له صوت يشبه دوي الرعد، وإن شئت فقل: إن الرعد من زئيره وصوته ودويه يكاد يصم الآذان وكيف لا، وهو يسكن المأسدة الشهيرة "عثر" والتي عرفت بضراوة أسودها وشراستها، يقول:

تتباغى الأعداء إما إلى دم وإما عراض الساعدين مصدرا

يظلل الأباة ساقطا فوق متنه له العدوة الأولى إذا القرن أصحرا

كان خوات الرعد رزء زئيره من اللاء يسكن العرين بعثرا[1]

ومن الذين عرفوا بوصف الأسد "أبوزبيد الطائي" الذي لقب "بوصاف الأسد" فهو يصف جسده وهيئته وصوته فيصف شعره الكثيف المجتمع على كاهله وقد نفشه وقت هجومه على الفريسة، فصار مجموعات كثيفة متقطعة، فيقول واصفا متانة وقوة الكتفين مع امتلائهما باللحم:

له زبر كالبد طالت رعابلا وكتفان كالشرخين عبل مضبرا[2]

ويشبه شعره الكثيف على عنقه وكاهله في بيت آخر بالهودج المغطى بالقطيفة المصنوعة من أدبار الإبل، يقول:

ورد كأن على أكناده خرجا في قرطف من نسيل البحث مخدور[1]

[1]- ينظر، علي أحمد الخطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، المرجع نفسه، ص189.

[2]- ينظر، ناهد الشعراوي، في الأدب القديم، ص 111.

ويصف شعره الكثيف المتداخل الذي يغطي جسده، وكأنه قد التحف ببرنس يغطي جسده بأكمله، يقول:

ضرغامة أهرت الشدقين ذي لبد كأنه برنسا من الغاب ملتفع[2]

وفي البيت التالي يصف جلد الأسد، وشعره المتدلي، ويشبهه بالقطيفة التي يرتديها الراعي، يقول:

كأن أثواب نقاد قدرن له يعلو بخملتها كهباء هدابا[3]

ويصف قوائمه المرتفعة ويشبهها بعيدان الرحل القوية المرتفعة، يقول:

أو ذا شصائب في أحنانه شمم رخو الملاط غبيظا فوق صرصور

وأما رأسه فقوي كالصخرة وعيناه متوهجتان كالجمرتين:

وعينان كالوقبين في قبل صخرة يرى فيهما كالجمرتين التبصر[4]

ويشبه رأسه مرة أخرى بالحجر، والعينان كأنهما حفرتان حفرنا بفأس حديدية، يقول:

كأن عينيه في وقبين من حجر قيضا اقتياضا بأطراف المناقير

وعيناه تتوهجان في الظلام كأنها الجمر

---

[1]- المرجع نفسه، ص 112.

[2]- ناهد المرجع نفسه، 113.

[3]- ناهد الشعراوي، في الأدب القديم، ص 110.

[4]- المرجع نفسه، ص 110.

براثنه شثن وعيناه في الدجى كحجر الفضا في وجهه الشر ظاهر [1]

وأما أصول الحنكين، فهي قوية شديدة يقول:

منيع ويحمي كل واد يرومه شديد أصول الماضغين مكابرا[2]

وأما الأنياب فهي حادة، إذا قلص شدقيه عنها بدت كأنها الخناجر، يقول:

يدل بأنياب حداد كأنها إذا قلص الشراق عنها خناجر[3]

وأما هيئته ومنظره فهو عبوس وغضنفر يقول:

فلا يعلقنكم مهصر الناب عنبس عبوس له خلق غليظ غضنفر[4]

ويصف اللبؤة بأنها عضوض، متوسطة العمر، وقد قاربت أن تضع فأشرق ضرعها يقول:

بتني القريتين له عيال بنوه وملمع نصف ضروس[5]

وفي قصيدة أخرى يصف شبلين بقبح المنظر وأمهما لبؤة قليلة الشعر وهي حامل وقد ظلت ترضعهما حتى إذا ذهب لبنها من الوحم صدت عنهما ثم أشبعهما الأسد طعاما ولكنها ظلت في فطام الشبلين، ويصف لونهما فهو أحمر، مائل إلى

[1]- المرجع نفسه، ض 110.
[2]- المرجع نفسه، 111.
[3]- المرجع نفسه، 111
[4]- ناهد الشعراوي، في الأدب القديم، المرجع نفسه، ص 111.
[5]- المرجع نفسه، ص 114.

الصفرة وهو لون الأسد وقد عوضهما أبوهما الأسد عن لبن الأم بأن قدم لهما فرائسه من القوم، يقول:

أبو شتيمين من حصاء قد أفلت كأن أطبائها في رفعها رقع

أعطتهما جهدها حتى إذا وحمت صدت وصدى فلا غيل ولا جدع

ثم استفاها فلم تقطع فطامهما عن التصبب لا شعب ولا قدع

وردين قد أخذا أخلاف شحمهما ففيهما عزمة الظلماء والجشع

غذاهما بلحام القوم من شدنا فما يزال بوصلي راكب يضع[1]

المبحث الثالث: وصف الطير

لقد اتسعت حدقة الشاعر الجاهلي ليرصد ما في طبيعة الجزيرة العربية من ألوان الطيور، فقد كانت الجزيرة تموج بأنواع شتى منها.

ومن الأطيار التي وصفها الشعراء الجاهليون طيور تعيش علة ظهر الأرض وتتخذها مواد لعيشها ونفسها ومنها ما يأبى الاستقرار ويفضل الطيران والتحليق في الأبواء شاديا ومغردا ومستمتعا بحياة حرة طليقة، فتارة يطير في علو شاهق وأخرى يهبط إلى غدير ماء أو حيث ينشر الحب، وقد وصف الشعراء الجاهليون ضمن ما وصفوه

[1]- المرجع نفسه، ص 114.

من الطير النعام والعقبان والنسور والرخم والصقر والحمام والقطا والغربان.

أ- النعام /الظليم:

"قد أتت صورة النعام والظليم في الشعر الجاهلي بعامة متواضعة في مقدارها وكانت ترتكز غالبا على صفة السرعة في الجري والعاطفة وللظليم اتجاه أنثاه وبيضه وأفراخه ومما يوحي بالتعاطف العائلي، كما التفت الشعراء إلى صفاته الجسمانية فذكروا طول عنقه ودقة رأسه وقلة ريشه وانتفاخ صدره وغرابة صوته واسوداد أجنحته وعري قوائمه وتتخيلهم يتعجبون من شكل هذا الطائر وتكوينه وطبائعه ".[1]

وقد وردت صفة السرعة والتسابق في الجري في صورة النعامة والظليم لدى الأعشى فيقول:

أو صعلة بالقارتين تروحت ريداء تتبع الظليم الأربدا

يتجاريان ويحسبان إضاعة مكث العشاء وإن يغيما يفقدا

طورا تكون أمامه فتفوته ويفوتها طورا إذا ما خودا [2]

إذ صرف الشاعر اهتمامه إلى تصوير تسابقهما في الجري وكيف تفوته فيه طورا ويفوتها طورا آخر ويلجأ إلى التعبير عما يدور في أعماقها من مشاعر الخوف إن أظلم الليل فباتا

[1]- ناهد الشعراوي في الأدب القديم، دار المعرفة الجامعية،2005، ص 68.

[2]- الاعشى، الديوان، شرح يوسف فرحات، دار الجيل، 2005،ص 84.

في مكانهما عرضة للتلف وكذلك وردت صورة الظليم في معلقة عنترة، إلا أن لها ملمحا آخر، إذ شبه الظليم برجل أعجمي طمطم وشبه النعامات حوله بجماعات من اليمن لا يفقهون قوله وإنما ينظرون إلى رأسه فيتبعنه ببلاهة دون تفكير ثم يعود فيشبهه بالعبد المقطوع الأذنين وقد ارتدى فروا طويلا، يقول:

وكأنما تطس الإكام عشية بقريب بين المتسمين مصلم

تأوي له قلص النعام كما أوت حذق يمانية لأعجم طمطم

يتبعن قلة رأسه وكأنه حدج على نعش لهن مخيم

صعل يعود بذي العشيرة بيضه كالعبد ذي الفرو الطويل الأصلم [1]

كما وردت صورة الظليم عند لبيد، فيصف الريش المتساقط منه عند العدو، كما يصف ساقيه ويشبه صدره بالعود، يقول:

أفذاك أم صعل كأن عفاءه أوزاع ألقاء على أغصان

يلقي سقيط عفاءه متقاصرا للشد عاقد منكب وجران

صعل كسافلة القناة وظيفه وكأن جؤجؤه صفيح كران[2]

وفي معرض المقارنة فإن صورة الظليم عند علقمة لا تنافسها صورة أخرى عند أحد القدماء الذين تنبهوا إلى علو كعب علقمة وسبقه لسواه من الشعراء في هذا

[1]- عنترة بن شداد، الديوان، ص 17، ص18.
[2]- لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، ص45.

المجال وقال بن الأعرابي: " ما من أحد وصف نعامة إلا احتاج إلى علقمة بن عبدة"[1].

فصورة علقمة أطول صور الظليم وأكملها وأحفلها بالحركة واللون والصوت وأذخرها بحرارة العاطفة إيحاءاها.

يظهر الظليم في صورة علقمة في البداية أحمر الجلد والساقين خفيف شعر القوادم في خصيب بين الأشجار الحنظل والتنوم، وهو لا يقنع بما يواليه من الحنظل حتى تمتد عنقه إلى ما ارتفع عنه فيخدمه، ثم يقترب من علقمة حتى يضعن قبالته، فنرى فاها لا يكاد يبين وأذنين أو موضع أذنين فهو مقطوعهما، ويبدوا علقمة متعجبا من خلقته وولعه بالطعوم المرة بل أشدها مرارة – الحنظل والخطبان:

كأنها خاصب زعر قوادمه أجنى له باللوى شري وتنوم

يظل في الحنظل الخطبان ينتنه وما استطف من التنوم مخدوم

فوه كشق العصا لأيا تبينه أسك ما يسمع الأصوات مصلوم [2]

[1]- ينظر، ناهد الشعراوي، في الأدب القديم، ص 74.

[1]- ينظر، المفضل بن محمد الظبي، المفضليات، ص 392.

ثم يذكر الظليم بيضه، ويثير المطر مخاوفه عليه، ويبعث حنينه إلى أفراخ صغيرة لاصقة بالأرض كأنها أصول الشجرة:

حتى تذكر بيضات وهيجه يوم رذاذ، عليه الريح مغيوم

فيبادر مسرعا يلوي على شيء ولا يلتمس لنفسه بعض الراحة، ويبدو صدره – عن قرب- كأنه عود الغناء في تقوسه، حتى إذا ابتعد لاح كأنه البطة أو طائر الماء:

يكاد منسمه يختل مقلته كأنه حاذر للنخس مشهوم

وضاعه كعصي الشرع جؤجؤه كأنه بتهاني الروض علجوم[1]

ثم يبلغ أدحيه قبل الغروب، فلا يدخله حتى يقفره ويتأكد من خلاء المكان من الأعداء حتى لا تهتدي إلى مكان أدحيه:

فطاف طوقين بالأدحي يقفره كأنه حاذر للنحس مشهوم

حتى تلاقى وقرن الشمس مرتفع أدحى عرسين فيه البيض مركوم [2]

ويدخل الظليم أدحيه ويأخذ دوره في حضانة البيض – فالظليم عادة بحضن البيض ليلا بينما تحنه النعامة في النهار، ناشرا عليه جناحيه مضطربا في وقفته ويشبهه ببيت من شعر

[1]- المفصل الظبي ، المفضليات، المصدر نفسه، ص 393.

[2]- المصدر نفسه، ص 397 .

ترفعه امرأة غير صناع، وهي كلما رفعته سقط – ربما لفرحته وسعادته وهو يناجي أنثاه وهي تجيبه في لغة ورطانة لا تفهم، كأنها رطانة الروم ولكنها تنم عن هذا التعاطف وهذه المحبة بين الظليم وأنثاه، ثم تنتهي القصة هنا عند أقوى أبياتها ومشاهدها:

يوحي إليها بإنقاض و قنقة كما تراطن في أفدانها الروم

صعل كان جناحيه وجؤجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم

تحفة هقلة سطعاء خاعة تجيبه بزمار فيه ترنيم[1]

هكذا صور علقمة الظليم والنعامة تصويرا دقيقا متأنيا زاخرا بالحركة واللون والعاطفة والعمق والبساطة والوصف النفسي.

ب- العقاب:

وإن كان الشعراء الجاهليون قد اهتموا من الطير الأليف بالنعامة، فقد لفتهم من الطير الجوارح العقاب. "ويعد العقاب من الطيور الجارحة والمعمرة أيضا إن شاءت كانت فوق كل شيء وإن شاءت تقرب كل شيء، وريشها الذي عليها هو فروها في

[1]- المصدر نفسه، ص 398.

الشتاء وخيشها في الصيف، وهي أسمع الحيوانات"[1] لذلك قالوا في المثل " أسمع من عقاب. "[2]

وهي تستعمل كفها اليمنى إذا أصعدت بالأرانب والثعالب في الهواء وإذا ضربت بمخالبها الذئاب والظباء فإذا اشتكت من كبدها أحست بذلك فلا تزال إذا اصطادت شيئا تأكل من كبده حتى تبرأ، وكل الطيور تهابها، يقول امرؤ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي[3]

ونجد عبيد بن الأبرص يدقق في وصفه، ويبرع في تصويره لما دار بين عقاب وثعلب، كل ذلك في أسلوب منسق، وألفاظ جزلة قوية فيقول:

كأنها لقوة طلوب تيبس في وكرها القلوب

بابت على إرم عذوبا كأنها شيخة رقوب

فأصبحت في غداة قر يسقط عن رشيها الضريب

فأبصرت ثعلبا سريعا ودونه سبسب جديب

فنفضت ريشها ولت وهي من نهضة قريب

[1]- علي أحمد الخطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، ص 74.

[2]- الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون، ج7، ص37.

[3]- امرؤ القيس، ص 68.

فـاشـتـال وارتاح من حـسـيس وفعـلـه بـفـعـــــل المــذؤوب

فـنهضــت نحـوه حثيثـا وحــردت حــرده تـــــسـيـب

فــدب مـــن خلفها دبـيـبـا والــعين حمـلاقـها مـقلـوب

فـأدركـتـه فـطـرحـتـــه والصيد من تحتها مـــكـــروب

فـجـدلـتـه فطـرحـتـــه فكـدحـت وجــه الجـبـــوب

يـضـــفـو ومخـلبـهـا في دفـــه لا بـــد حـــيرومـــهـــا منقـوب [1]

يـصـــف الـــشـاعـر عـبـيـد بـن الأبـرص عـقابـا يـصيد ثـعلبا ويطرحه على الأرض والثعلب مكـروب تحـت الـعقـاب لا يـستـطيـع حـراكـا ولا يـقـوى على الـنهـوض مـن تحـتـه، فمـثـلـت بـه ابـشـع تمـثـيل، حـيث يـقـول: لـــقـد بـاتـت الـعقـاب فـوق رابـيـة عـالـيـة ومـرقـبـة مـرتـفـعـة عـزوفـا عـن الـطـعـام، حـتى لـيـخـيـل إلى الـرائـي أنهـا عـــجـوز شمـطاء بـلغـت سـن اليـأس، ومما يـزيدهـا حـزنـا أنهـا ثـكـلـت ولـيـدها الوحـيـد فـلـم تهـدأ طـول الـلـيـل، فـهـي لم يـكـحـل الـنـوم عـيـنيـها، وبـيـنـمـا الـعـقـاب عـلـى هـذا الحـال إذا بهـا تـبصـر ثـعـلـبا، ودونهـا فـلاة قـاحلة، فـتـنـاست مـا بهـا مـن هـم ومـا ألم بهـا مـن اكتئاب، ونـفـضـت ريـشـهـا ووثـبـت مـتحـفـزة إلى الـظـفـر بـذلـك الصـيد حـتى دنـت مـنـه، فـلاذ بـالهـروب طـلـبا لـلنـجـاة صـنيـع كـل خـائـف فـزع ولـكـن الـعـقـاب ينـساب

[1]- عبيد بن الأبرص، الديوان، تحقيق تشارلز، قدم للطباعة وأعدها للنشر محمد عوني عبد الرؤوف، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،2003،ص 11

إليه انسياب الماء الدافق طمعا في الظفر به وافتراسه ويدور الثعلب حول العقاب طلبا للتفلت دون جدوى، حيث انها أدركته وفوق الأرض طرحته وحشمت فوقه وهو لا يقوى على الدفاع، حيث أنشبت فيه مخالبها، وهو يصيح بصوت عال مرتفع طالبا الغوث والنجدة ولكن لا مغيث ولا منجد، وقد مثلث به أبشع ما يكون التمثيل.

ج - الحمام :

أتت صورة الحمامة في الشعر الجاهلي في التعبير عن الحزن وفي مجال الرثاء، إذ ربط الشعراء منذ الجاهلية بين حزنهم وبكاءهم وفقدهم وبين صوت الحمامة بشيء من التلازم وبصورة توحي بعمومية هذه العلاقة بين الشعراء عدا الاختلاف في رسم الصورة من شاعر إلى آخر.

وفي هذا الصدد تقول الخنساء:

تذكرت صخرا إذ تغنت حمامة هتوف على غصن من الأيك تسجع

فظلت لها أبكي بدمع حزينة وقلبي مما ذكرتني موجع

تذكرني صخرا وقد حال دونه صفيح و احجار و بيداء بلقع[1]

فترسم صورة لحمامة على غصن شجرة تردد غناءها الشجي وتكرره (هتوف، تسجع) فاستثارت قلب الخنساء

[1]- الخنساء، الديوان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002، ص 64.

المفجع بفقد أخيها صخرا، وأبكتها بدموع غزار ويقول الخنساء أيضا مبرزة صفة الصوت الحزين "النوح" في إثارة عاطفة الحزن التي يتبعها البكاء:

لأبكينك ما ناحت مطوقة وما سريت مع الساري على الساق [1]

ويرسم الشنفري صورة توحي بالروع والفزع والتشاؤم في قلبه من أثر صوت الحمامة النائحة:

ونائحة أوحيت في الصبح سمعها فريع فؤادي واشمأز وأنكرا

فحفظت جأشي ثم قلت حمامة دعت ساق حر في حمام تنفرا [2]

وغلب ذكر الحمام لدى الشعراء الغزليين والعاشقين المحبين حيث إن النواح يجمعهم والألم يربط بينهم، فإذا سمعوا الحمام فوق أيكة ينوح أثار كوامن الشجن في نفوسهم، وذكرهم بالأسى ولوعة الفراق والحنين إلى من يحبون، يقول الأعشى:

ويوم الخرج من قرماء هاجت صباك حمامة تدعوا حماما[3]

ويقول عنترة العبسي:

وما شاق قلبي في الدجى غير طائر ينوح على غصن رطيب من الرند

[1]- المصدر نفسه، ص 71.
[2]- ناهد الشعراوي، في الأدب القديم، ص 72.
[3]- الأعشى، الديوان، ص 282.

به مثل مابي فهـو يخـفي من الـجـوى كمثل الذي أخفي وبـيـدي الـذي أبـدي

فبـالله يا ريـح الحجـاز تـنـفسـي على كـبـد حـر تـــذوب من الوجـد[1]

المبحث الرابع: وصف الزواحف والحشرات

الـشـعـر الجـاهـلـي هـو أغـرودة الـعـاشـق وأهـزوجـة المـنـتصر، وحـذاء الـراكـب ومـتـنـفس الـعواطف، وسـلـوى المـكروب، فـلا غـرو إن كـان الـشـعـر الـفـن الجـمـيـل الـذي اشـتـهـر بـه الـعرب وكـان مـن بـين مـا وصـفـوه أيـضـا الحـشـرات والـزواحـف.

" يـشـتـمل الـشـعـر الجـاهـلـي على قـطـع كـثيرة تـصـور الـنحـل وسـعـيـه في الجـبـال وأكـلـه للثـمـار، كما تصـور المـشـتـار وسـوء حـالـه وشـقـاءه في اسـتـخـراج الـعسـل ومـغـامـرتـه في سـبـيـلـه، ومـن ذلـك قـول أبـو ذؤيـب الهـذلي:

أتـوهـا بـربـح حـاولـته فأصـبحت تـكـفـت قـد حلت وسـاغ شرابها

بـأري الـتي تهـوى إلى كل مـغرب إذا اصفر ليط الشمس حان إنقلابها"[2]

ويـصـف عـنـترة بـن شـداد الـعـبـسي الـذبـاب مـنـتشـيا يحـك ذراعـه بـذراعـه يـقـول:

وخـلا الذبـاب بهـا فـلـيـس ببارح غـردا كفـعـل الشـراب المتـرنـم

[1]- عنترة بن شداد، الديوان، 119.

[2]- ينظر، حسن عطوان، بيئات الشعر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ ، 1993م، ص 32، 33.

هـزجـا يحـك ذراعـه بـذراعـه قدح المكـب على الزنـاد الأجـذم[1]

فـهـو يـصف الذبـاب في الـروضـ فلا يـزلنـها ويـصوتـن تـصويت شـارب الخمر حين رجـع صوتـه بالغـنـاء، فـهـو يـقـول يـصـوت الـذبـاب حـال حـكـه إحدى ذراعـيه بالأخـرى مثل قـدح رجل نـاقص اليد.

أمـا فيـمـا يـتعلق بـوصف الـزواحف فـنـجد " النابغة الذبياني" يـصـف حيـة فـيـقول:

فـبـت كـأني سـاروتني ضئيلـة من الرقـش في أنـيابهـا الـسم نـافع

يـسهد من لـيل التمـام سليمهـا لحلـي الـنسـاء في يـده قـعـاقـع

تـنـاذرها الراقـون من سوء سمها تـطلقـه طـورا وطـورا تـراجـع[2]

يـصـف الـشـاعـر في هذه الأبيـات خبث الحـيـة وأثـر سمـهـا وذلك حـيـنـمـا يـوعـده أبـو قـابـوس، حيث بـات لـيـلـة مـسـهـدا كـأن حـيـة خـبـيثـة لـدغته، رقشـاء الـلـون، دقـيـقـة الجسم في أنـيابهـا الـسـم الـرعـاف، يـسـهد الـلـيـل كـامـلا لا تـكـتـحـل عـيـنـاه بـالـنوم.

شـاك حـزيـن يـتسـربـه المـوت إلى مـفـاصـلـه، وأجـزاء جـسـمـه ولخـبـثـهـا وأثـر سمـهـا يخـشـاه الرقـاة ويتـهـيبـونها.

[1]-عنترة بن شداد، الديوان، ص 16.
[2]- النابغة الذبياني ، الديوان، ص 76.

ويقول عنترة بن شداد العبسي يصف ثعبان أسود اللون:

أترجوا الحياة بن بشر بن مسهر وقد علقت رجلاك في ناب أسودا

أصم جبال إذا عض عضة الرقي تزايل عنه جلده فتبددا

بسلع صفا لم يبد للشمس بدوة إذا ما رآه صاحب اليم أرعددا

له ربقة في عنقه من قميصه وسائره عم متنه قد تقددا

رقود ضحيات كأن لسانه إذا سمع الأجراس مكحال أرمدا

يفيت النفوس قبل أن تقع الرقى وإن أبرق الحاوي عليه وأرعدا[1]

فالشاعر يصف الثعبان بأن في أذنيه وقرا وفي سمعه صمما وهو جبلي أسود، قد استمد فظعته غلظته وقساوته من البيئة التي يعيش فيها وهي الجبل، ومع ذلك فإنه ناعم الملمس، ولكنه إذا عض مسوره تساقط جلده ووهن عظمه ويتبدد لحمه وهذا الثعبان مطوق العنق، كثير الرقاد في الضحى مستمتعا بحرارة الشمس الدافئة، فإذا ما تنبه وصحا على صوت أخرج لسانه الأسود الشبيه بمكحلة الأرمد وهو يزهق النفوس في سرعة عجيبة تحاكي سرعة البرق الخاطف.

[1]- عنترة بن شداد، الديوان، ص 16.

يقول النابغة يصف حية وصفا دقيقا فهي مخيفة بمجرد سماع وصفها :

صل صفا لا تنطوي من القصر طويلة الاطراق من غير خفر

داهية قد صغرت من الكبر كأنما قد ذهبت بها الفكر

مهروتة الشدقين حولاء النظر تفتر عن عوج حداد كالإبر [1]

الشاعر النابغة يصف الحية بالخبث وأنها قوية عاتية، تتخذ من الصخر الصلد لونا لها حتى لا تتبين للرائي وذلك أمارة لومها وسوء طوبتها وهي حيث قصيرة الأطراف وتمعن في التهويم، وليس ذلك من حياء أو خجل يعتريها، ولكنها تستغل الفرصة لتثبت على صيدها، وهي حية داهية طال أجلها، وعظم خبثها وإن كان جسمها صغيرا تعجز عن التلوي حول نفسها لصغره، وهي دائمة الفكر حتى لكأن الإغراق في التفكير كان السبب في قصرها وصغر حجمها، ثم يصفها باتساع الشدقين وحول العينين، فهي تفغر شدقيها فيبين عن أسنانها عوج حداد تشبه الإبر.

[1]-النابغة الذبياني، الديوان ، ص 16.

الفصل الثاني

الحيوان وسيلة للوصف

المبحث الأول: الحيوان والمرأة

لقد حظي الحيوان عند العربي الجاهلي بمكانة رفيعة، جعلته محل أنظار الدارسين والباحثين، لاسيما وقد جعل هذا الحيوان في مكانة موازية مع المرأة، هذه الأخيرة التي كانت أحد الرموز المهمة التي استقطبت الجاهلي في صحراءه.

أ- الغزال والمرأة:

ومن هذه الحيوانات التي نالت المكانة العالية عند الجاهليين، الغزال والذي أفاض الشعراء في وصفه وأعجبوا أيما إعجاب بحور عينيه وسواد مقلته ورشاقته، وخفة حركته وسرعة عدوه وضمور خصره، فقبس الشعراء الجاهليون جميع هذه الصفات ووصفوا بها الحسنوات، فذلك "طرفة بن العبد البكري" يشبه حبيبته بالغزال واصفا عينيها بالسواد، ثم يصورها متخلفة عن القطيع لترعى صغيرها الذي لا يقوى على السير، ثم صارت في خميلة مع قطيع من الغزلان والبقر الوحش لترعى الكلأ والعشب ثم تمد عنقها لتتناول ثمر الأراك، فيسقط الورق على جسدها ويغطيه حتى يصير لها كالرواء، فيقول:

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطي لولو وزبرجد

خذول تراعي ربربا بخميلة تناول أطراف البرير وترتدي[1]

ويصف قيس بن الخطيم محبوبته بالظبية الحسناء ذات الصوت الأغن الرحيم فيقول:

[1]- طرفة بن العبد، الديوان، ص 20، 21.

فـمـا ظـبـيـة مـن ظـبـاء الحـسـاء عـيـطـاء تـسـمع مـنـها نـغـامـا

تـرشح طـفـلا وتحـنـوا عـلـيـه بحـقـف قـد أنـبـت بـقـلا تـوأمـا

بأحـسـن مـنـهـا غـداة الرحـيـل قـامـت تـريك أثـيـثـا ركامـا[1]

ومن هذا القبيل تشبيه " المثقب العبدي" للظعائن الحسان وهن في هوادجهن بالغزلان المتخلفة عن القطعان في مكان معشب لترعى في وداعة وأمن فيقول:

وهـن على الرجائز واكـنات قـواتل كل أشـجـع مـستكـي

كـغـزلان خذلن بـذات صـال تـنـوش الدانيات من الغصـون[2]

ثم نرى الشاعر الجاهلي "ربيعة بن مقروم" يشبه محبوبته بالغزالة البكر التي كثر أمامها المرعى واتسع فهي ذات نعمة ونظارة فيقول:

كأنها ظبية بكر أطاع لها من حوقل تلعات الجو أو أودا[3]

وقد يجيء تشبيه الشاعر للحسناء ذات الخفر والحياء مقصورا على صفة واحدة من صفات الغزال، وذلك بأن يصف جيدها يجيده وخصرها بخصره وعينيها بعينه، فمن ذلك يشبه "امرؤ القيس" جيد الحسناء بجيد الغزال، فيقول:

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذ هي نصته ولا بمعطل[4]

[1]- ينظر، على أحمد الخطيب، في الوصف في الشعر الجاهلي، ص 174.

[2]- ينظر، المفصليات، ص 880.

[3]- ينظر، المصدر السابق، ص 12.

[4]- امرؤ القيس، الديوان، من 103.

وفي غنة الصوت ورخامته يقول "كعب بن زهير":

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول[1]

أما "طرفة" فيأخذ في تصوير محاسن محبوبته ورشاقتها مشبها إياها تشبيهات دقيقة منتزعة من البيئة الطبيعية التي يعيشها إلى تشبيهها بالغزال المطفل الذي يرعى في مكان خصب وما إلى ذلك فيقول:

تخلس الطرف بعيني برغز وبخدي رشإ آدم غر

ولها كشحا مهاة مطفل تقتري بالرمل أفنان الزهر

وعلى المتنين منها وارد حسن النبت أثيث مسبطر

جابه المدري لها ذو جدة تنفض الضال وأفنان السمر

بين أكناف خفاف فاللوى مخرف تحنو لرخص الظلف حر

تحسب الطرف عليها نجدة يا لقومي للشباب المسبكر[2]

تضمن البيت الأول عدة تشبيهات فقد شبه نظرتها الخفيفة بنظرة ولد الناقة من حيث سعة عينيه، وخدها بخدي غزال في أسالتهما، واشترط في كون الغزال غردا ليدل بذلك على حداثة سنها ونظارتها، إذ أن المحبوبة ما زالت في ريعان شبابها وتشبيه كشميها بكشمي بقرة الوحش المطفة التي تجتزئ بما ترعاه من الأغصان غضة النور والرطب من الكلأ عند شرب الماء، وجعلها تحنو وتعطف على ولدها في البيت الخامس وذلك أنها خذلت القطيع وبقيت مع

[1]- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب الفرضي، جمهرة أشعار العرب مصر، سنة 1926، ص 308.

[2]- طرفة بن العبد، الديوان، ص 50.

ابنها، وذلك أبين لحسنها ورعايتها له، ويوضح لنا البيت الأخير مدى نعومة المحبوبة التي شبهها بالمهاة التي تعطف على ابنها فهي إذا أرادت بعنقها ونظرت كان ذلك سببا في مشقة لها وشدة عليها.

" وقد شبه الشاعر الجاهلي عين المرأة بعين الغزال في سكولها وسواد رموشها وحورها وهي في تطلعها لا تشعر بالخجل وإنما تشعر بالحزن لأنها لا تستطيع أن تنطق بما يجول في خاطرها في سبيل إغراء الرجل "[1].

ويقول امرؤ القيس يصف عينيها بالجمال وبالرقة والسكون:

تصد وتبدي عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل[2].

ب- الخيل لقد امتازت الخيل عند العربي بمكانة عالية بلغت شأنا عظيما بهذه المكانة، ذلك أن الخيل حملت صفات أصحابها وصارت صورة لهم فالفرس دلت على ميزات كثيرة، فكانت فيها الشهامة والنبل والفخر ما في طبع البشر"[3].

ولعل إبداع الشعراء في وصف الخيل وتفننهم في هذا الوصف وجعل الخيل في حد ذاتها في مكانة موازية مع المرأة وفي أحيان أخرى في مكانة أعلى من مكانة المرأة فهذا دال على أن الخيل

[1]- داود سلوم انعام سلوم، أثر المرأة في الأدب العربي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1427، 2006، ص 47.

[2]- امرؤ القيس الديوان، من 38.

[3]- ينظر، حسين جمعة الحيوان في الشعر الجاهلي، دار رانية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، من 98

كانت مقدسة وعظيمة الشأن "ولهذا صارت الخيل مظهرا من مظاهر كرامة العربي لا تعلوها مكانة المحبوبة وإن شغفت قلبه "[1].

ولقد كانت مكانة المرأة مرتبطة بإكرام الخيل، فإن تهاونت في أمرها أو أظهرت نزعة عدوانية نحوها فضل الرجل خيله عليها وقد عدت الخيل من أسرة العربي وكانت المكانة القريبة منها هي مكانة المرأة لديه " وكان العربي الأول يقارن بين زوجته وفرسه فحين ينتصر الفرس في الحرب فزوجه يطير فؤادها وإذا داهمت الأزمات الفرس تخرج حاسرة الرأس".[2]

ومن الأسباب التي جعلت العربي يضع مكانة الخيل فوق مكانة المرأة ذلك لأن الخيل تعني فروسية الجاهلي وشجاعته وإذا أبدت زوجته أي معارضة عن ذلك، فهو لا يتهاون في تطليقها.

والاهتمام بالخيل عند العربي الأول كان موضوعا لطيفا، موضوعا جعله للفخر والاعتزاز والمدح " فحين أحب العربي المرأة الولود فقد أحب الفرس في بطنها فرس يتبعها فرس"[3].

فهذا ما دفع ببعض الشعراء إلى وصف الفرس بصفات المرأة، باعتبار أن هذه الصفات قواسم مشتركة بين الفرس والمرأة، يقول الأعشى:

عهدي بها في الحي قد سربلت هيفاء مثل المهرة الظاهر[4]

[1]- ينظر، المرجع نفسه، من 101.

[2]- ينظر، حسين جمعة، الحيوان في الشعر الجاهلي، المرجع نفسه، من 103.

[3]- المرجع نفسه، ص 108.

[4]- الأعشى، الديوان، ص 142

فالأعشى يصف فرسا وكأنها امرأة في مشيتها والضمور والتهادي ولهذا جعل "امرؤ القيس" فرسه ذات شعر طويل، يقول "امرؤ القيس":

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد فرجها من دبر

لها عذر كقرون النسا ء ركبن في يوم ريح وصر[1]

فصفة الخيلاء تظهر عند الفرس في ذيلها الي، وعند العروس في إيزارها الطويل، وكلتا هما تختال في مشيتها ولهذا فإن امرؤ القيس خلق نوعا من التشبيه الغزلي بين المرأة والفرس.

وفي أوقات الصيد رأى أن صدر الفرس أشبه بمداك العروس، وقد تعلو هذه المكانة لدى الفرس حتى يصبح ظهر الفرس موطأ كفراش المرأة، وفي هذا يقول الأعشى:

إذا ما علاها فارس متبذل فنعم فراش الفارس المتبذل[2]

ج - الحمر والبقر الوحشي والمرأة:

"والشعراء أضافوا الصور الحسية الرائعة الجمال على الحمر الوحشية ذلك ما يبرز أن الإناث كانت مكرمة في عرف الحمار الوحشي، يقدمها على نفسه خائفا عليها، وهي تتمتع معه بصفة الدلال"[3].

[1]- امرؤ القيس الديوان، ص 237.

[2]- الأعشى، الديوان، ص 211.

[3]- حسين جمعة، الحيوان في الشعر الجاهلي، ص 54.

وهذا ما يؤكده امرؤ القيس الذي يلم سريعا بصفات المشبه – الناقة – ليتوقف قليلا عند صورة الحمر التي تذكره بصفات محبوبته التي فارقها، يقول:

وإنك لم تقطع لبانة عاشق بمثل غدو أو رواح مؤوب

بمجفرة حرف كأن قتودها على أبلق الكشحين ليس بمغرب

يغرد بالأسحار في كل سدفة تغرد مياح الندامى المطرب

أقب رباع من حمير عماية يمج لعاع البقل في كل مشرب[1]

فأمرؤ القيس يتحدث هنا عن الحمر الوحشية وفي ثنايا هذا الحديث حديث خاص محبوبته التي فارقها، الشاعر هنا يضع الحيوان والمرأة في منزلة واحدة، فحديثه عن الحمر الوحشية كان حديثا مستعارا لأن كلامه كان محبوبته التي غادرت الديار، وهذا ما يثبت أن الحيوان كان مقدسا عند الجاهلي حيث رفعه إلى منزلة الحبيبة. كما أن الشعراء الجاهليين انتزعوا صورا رائعة وتشبيهات جميلة من البقر الوحشي، كتشبيههم عيون الحسنوات بعيون البقر الوحشي في الاتساع والجمال والجاذبية، وفي هذا يصف " طرفة" عين المرأة البدوية ويشبهها بعين ابن البقرة الوحشية فيقول:

تخلس الطرف بعيني برغز وبخدي رشا آدم غر[2]

[1]- امرؤ القيس الديوان، ص 73 - ص 75.

[2]- طرفة بن العبد، الديوان، ص 50.

وهي عين قلقة غير مستقرة وإنما هي نظرات متنقلة تدل على النفور وعدم الخضوع وقد تديم النظر إلى أسفل والإطتراق وهذا دليل الرفض عند المرأة البدوية.

كما نجد الشاعر " معن بن أوس" يشبه عيني الحسناء بعيني البقرة الوحشية في الاتساع ونصاعة البياض وشدة السواد، وذلك هو الحور الذي يصيد القلوب، ويصرع ذا اللب:

سبتني بعيني جؤذر جملة وحيد كجيد الرئم زينة النظم[1]

كما شبه الشعراء الجاهليون مشية الحسناء وهي متبخترة في مشيتها بمشية البقرة الوحشية التي تمشي بهدوء على الرمال الناعمة حذر السقوط في الوديان والوهاد، فيقول "قيس بن الخطيم":

تمشي كمشي الزهراء في دمث الرمل إلى السهل دونه الجرف[2]

ونرى "امرؤ القيس" يشبه سرب بقر الوحش بالفتيات الأبكار فيقول:

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيل[1]

[1]- ينظر، علي أحمد الخطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، ص 170.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 169.

ويقول "زهير بن أبي سلمى" يصف محبوبته:

وأما المقلتان فمن مهاة ولدر الملاحة والصفاء[2]

فالشاعر يريد أن عيني محبوبته أخذتهما من بقر الوحش المعروفة بسعة عيونها.

المبحث الثاني: الحيوان والطلل

وصف الشاعر الجاهلي الطبيعة الساكنة وعرض لها قسما وافرا من شعره خاصة تلك المظاهر التي كان لها تأثير مباشر في حياته كالطلل والصحراء والبرد والمطر.

والواقع أن القصيدة الجاهلية تتطرق إلى مواضيع متعددة لكنها تتردد في الغالب على بعض المواضيع أكثر من سواها.

ولعل الطلل من أهم المواضيع التي تتردد عليها له علاقة مباشرة مع وجدان الشاعر وتنازعه، مع ميوله وعواطفه لما تثيره في نفسه من الذكريات التي توافي التجربة الشعرية فالطلل يمثل له تجربة الحنين والندم فمن خلاله يذكر الديار والزمن والآثار، فيبكي الشاعر

[1]- امرؤ القيس الديوان، ص 49.

[2]- زهير بن أبي سلمى الديوان، ص 12.

ويشتكي ويخاطب الربع ويستوقف ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الضانين.

"وقد أبرز الشعراء المقدمة الطللية أن تجعلوها مطلعا لمعلقاتهم وأمعنوا في التدقيق فيها، معبرين عنها من خلال المعاني المتداولة وقد أدرج الشعراء في مستهل حديثهم عن الطلل على تسميته وتعيين مكانه، فقد ذكر "امرؤ القيس" دخول فحومل، كما أن زهير بن أبي سلمى ذكر **الدراج المتلثم**، "ولبيد" عرض **منى، جل، ريادة**.[1]

وتعددت تفاسير الطلل لدى النقاد والباحثين في فهم بواعثه فنلمس ذلك من خلال اقترانه بالوشم في اليد،[2] واعتقاد الإنسان القديم "بأن للوشم فوائد سحرية منها إبعاد العين الشريرة ودفع الأذى وباعتباره تعويذة تحمي الطلل من الزوال والاندثار"[3] وكانت الأطلال وفي نظر الشعراء أقرب إلى القبور.

وربط الطلل بالمرأة أي (المحبوبة) فيمثل رحلة الشاعر إلى الشمس التي هي رمز للخصوبة والنماء باعتبارها معبودا رامزين لها بالمرأة التي لها نفس صفات الشمس

[1]- إلها الحاوي، من الوصف في الشعر العربي، دار الكتاب، لبنان، بيروت، الطبعة 2، ص 168.
[2]- ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3]- احمد اسماعيل نعيمي الأسطورة في شعر ما قبل الإسلام، الطبعة 1، 1995، من 269.

لذلك قالوا (المقدمة الطللية الغزلية)، فالشاعر لما كان يبكي الطلل إنما كن يبكي حبيبته.

وفي موضع آخر اقتران هذا الأخير أي الطلل بالحيوان فما الذي يفسر وجود الآرام والبقر الوحشي في الأطلال باعتبار أن الطلل رمز للخراب والدمار؟.

نلمح وجود الثور الوحشي والآرام في الطلل مثل قول "امرؤ القيس":

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

فنرى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل[1]

فنرى هذه الأطلال مليئة بالحيوانات لقول أحمد وهب رومية " نرى هذه الأطلال مملوءة بقطعان البقر وأحال الظباء وصغارها وهي تنهض من كل جانب كما ينهض الزرع في الأرض البور بعد إحياءها وقد طاب لها جميعا العيش لكثرة الكلإ"[2].

[1]- امرؤ القيس الديوان ، ص 25، ص 26.

[2]- وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الحديث، دار الجيل ، بيروت، ط2، ص 48.

و"زهير" في تناول ديار محبوبته ووصفه ارتحالها "أشد استقصاء وأدق متابعة من امرؤ القيس"[1] حيث تتبع حركة الركب خطوة خطوة مسجلا كل ما صادفته النساء في طريقهن، وهو يلتفت إلى الوحوش التي اتخذت من ديارها مرتعا بعد ارتحال أهلها عنها، فبقر الوحش ذات العيون الواسعة والظباء الحاصلة البياض يمشين خالفات بعضهن البعض، بينما أولادهن تنهض لا أحد يخيفها لترضع من أمهاتها، فيقول:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتلثم

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم

بها العين والأرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم[2]

ونرى "امرؤ القيس" قد نزل إلى ديار المحبوبة الواقعة قرب مياه البكرات والجبال الشامخة السود المجاورة لماء تميم المسماة بالعارمة في بلاد نجد والقريب من تلك الديار بقعة يخالط حجارتها السود رمل أبيض تقطنه الحمر الوحشية بسبب هجر الحي تلك الديار وارتحاله عنها فيقول:

غشيت ديار الحي البكرات فعارمة فبرقة العيرات[3]

[1]- زكريا الصيام دراسة في الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984، ص 425.

[2]- زهير ن أبي سلمى، الديوان، ص64.

[3]- امرؤ القيس الديوان، ص 166.

ومن هنا فالطلل يرمز إلى الدمار والخراب والحيوان إلى الخصب والحياة في ذلك الخراب.

"إن العربي إذا أراد تصوير شيء لا يقف في سبيله لفظ شارد أو معنى مستعصي فهو ذو موهبة فذة قادرة على صقل الصورة صقلا فنيا جذابا فهناك مواضع التي شهدت مغامرات حبه وعشقه ومواقع غزوه وحربه، إنه لا ينساها ولا تنساه فلا يفتئ يعاودها كلما برحت به الذكريات على فرسه الذي يقرب المسافات أو على ناقته التي تطأ الآكام وتذلل أمامه وعورة الصحراء، فليس غريب أن يعنى البدوي براحلته هذه أشد العناية فهي من أعز ما يملك في حياته"[1].

فرحلة الشاعر على ظهر ناقته يعني الصراع القائم بين الناقة والطلل ففي مقام هذا الصراع المزعوم علينا أن نتفهم هذه التفصيلات.

فنذكر أن هناك جدلية بين هذين المفهومين اللذين يعبر عنهما بلفظي الناقة من جهة والطلل من جهة ثانية.

"ففي معلقة "طرفة بن العبد" تحدث عن الهوادج ويقول إن هذه الهوادج قد استحالت إلى سفن والسفن هي التصورات

[1]- زكريا الصيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ص 60.

الأولى للهرب من: فكرة الهدم التي ينطوي عليها الطلل"[1] في قوله:

لخولة أطلال ببرقة ثهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون: لا تهلك أسى وتجلد

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدي

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المغليل باليد[2]

يعني أن الشاعر شبه هوادج الإبل بالسفن الضخمة في تهاديها وسيرها وكأن هذه الإبل الضخمة التي يسوقها الحذاة على سمت الطريق تارة وتارة يميلون عنها لاختصار المسافة كأنها سفن لقبيلة "عدولي" أو "لابن يامن المشهورة في ضخامتها، تسير حسب خط معين في البحر تارة وتعدل عنها تارة أخرى وصدور هذه السفن تشق أمواج البحر فتذهب المياه إلى جانبي السفينة، ويعني هذا أن الإبل كانت تواجه الصراع في الرحلة البحرية.

[1]- مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ص 158.

[2]- طرفة بن العبد الديوان، ص 132.

فمواجهة الطلل هو ما يعبر عنه الشاعر باسم الناقة انطلاقا من ملاحظة الحركة المستمرة لها فهي تسير دائما، فكلما كان يرى الطلل يثق أنه موجود ولابد له أن يعود للحياة فلجأ إلى الناقة التي هي أسلوب من أساليب التعويذة لأنها تجسد الحركة المستمرة.

فسير الناقة في نفسه كالحرب أي الحرب مع الطلل الذي هو رمز للفناء والخراب والموت من أجل الحياة والاستمرار، حيث يقول علقمة في معلقته:

هل تلحقني بأخرى إذ شحطو جلدية كأتان الضحل علكوم

كأن عسلة خطمي بمشفرها في الخد منها وفي اللحيين تلغيم[1]

لقد استعان "علقمة" بالناقة وحدها ليلحق بحلمه ويسترده من قبضة الدهر، فوضع ناقته معادل موضوعي لأنها منازعة الدهر فهو يفتخر بمقدرتها الكاملة على اجتياز الفلوات الخالية التي لا ماء فيها، ولولا ثقته بصبرها وتحملها للعطش الطويل والسفر المنهك فهي رمز للحياة والسنيد في مواجهة الطلل والدهر. ولقد استطرد الشاعر الظليم في معلقته وقد تحررت الناقة من مساورة الدهر وغدا ظليما أمكنه الرعي وطاب له المرعى:

كأنها خاضب زعر قوادمه أجنى له باللوى شري وتنوم

يظل في الحنظل الخطبان ينقفه وما استطفى من التنوم مخذوم

[1]- أبو العباس المفضل بن محمد الضبي، المفضليات، ص 390.

فـوه كشق العصـا لأين تبينـه أسك ما يسمع الأصوات مصلوم

حتى تذكر بيضـات وهيجـه يوم رذاذ عليـه الريـح مغيوم[1]

ومـن خـلال استـطـراده للظلـيـم أراد أن يجـسـد إحسـاسـه بـالحيـاة وجمـالها وإشـراقـهـا ووضاءتها، حـيـث يحـي المرء في عـقلـه عن الـدهـر فـحـديثـه عـن الـظليم كـان عـن المـاضـي الجـميل دون غـيره ويـعـني هـذا أن وحـدة الـظليـم هي مـوازاة رمـزية لوحدة الـضغائـن.

جـاء الـشـاعـر بالـناقـة كـمعادل مـوضوعي المواجهة الـطلل الـذي أخذ الحـبيبـة وكـذلك استـطـرد الظليم الـذي رأى فـيه الحياة، ويعني هذا أن الشاعر كان يـعـيش صـراع بـين الحـياة والـمـوت واستـعـان بـالحـيوان لأنـه رأى فيه الحـيـاة والـبـناء.

المبحث الثالث: الحيوان والحرب

عانى الإنـسـان الجـاهلـي مـن ويـلات الحـرب التي أرقـت حـياتـه طـويـلا من خـلال الـغارات والخـلافات بـين الـقـبـائـل، وصـفـها الـشـاعـر الجاهـلي في شـعـره وقـال أنهـا دلـيـل شـؤم وشـر فقد اهـتم بـالحـرب فـأعـد لهـا، فـاعـتنى بـالحيـوان بـكل الـعنايـة وجـهـز السلاح وتـشـدد في شروط جـودتـه ودقـة صـنـاعتـه، فـقـد كـانـت الحرب شـرا لا بـد مـنـه والـسلـم خـير سـبـيـل إلى دولـة فـيـه يـتـمـتـع المرء بملاذ الحـيـاة.

[1]- المصدر نفسه، ص391.

أ- **الناقة والحرب:** "جل الشعر الجاهلي قائم على الصراع بين الموت والحياة ويتجسد ذلك رمزيا في حيوان الناقة لارتباطها بالحرب ونلمس ذلك من خلال الملامح الأسطورية المحاطة بالحيوان وخاصة الناقة، ففي الأساطير القديمة كانت تمثل ربة الحرب تلقح الأسنة والرماح".[1]

فتظهر لنا صورة الحرب التي تأكل أحياء تغنيهم بصورة الناقة العون النفور العضوض.

وكقول الخنساء:

شددت عصاب الحرب إذ هي مانع فألقت برجليها مريا فدرت

وكانت إذا ما رامها قبل حالب تقته بإيزاع دما واقمطرت[2]

حسمت الخنساء أوهامها وأفكارها عن هذه الحرب بهذه الناقة التي دخت في ضمير الإنسان الجاهلي، الذي جعل منها نموذجا على الموت والدمار.

وفي قول زهير بن أبي سلمى" في معلقته:

وما الحرب إلا ما علمتم و ذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

[1]- أنور أبو سويلم، دراسات في الشعر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ 1987، من 80.

[2]- الخنساء، الديوان، من 13.

متى تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضربتموها فتضرم

فتعر ككم عرك الرحى بثقالها وتلحق كشفا ثم تنتج فتتئم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فطفطم[1]

يقول "زهير" إن السلام غاية الحياة القصوى فذكر في بيته الأول حديثه في وصف الحرب فلم يجد إلا فكرة الناقة عون له على استقصائها واختبارها، فقد أشار إلى عاقر الناقة في ثمود "وكان عقر الناقة إيذانا بالدمار والهلاك"[2]

ب- الفرس والحرب: يبرز الفرس بوصفه عنصرا أساسيا في الحرب وعنصرا مهما من عناصر نموذج البطل المحارب، فكثيرا ما نجد الشاعر يطيل الحديث في تصوير فرسه، فقد أكثر الحديث عنها سواء في محال الصيد أم في مجال الحرب وكلاهما يجيء في معرض الفخر بالفتوة والبطولة فنرى "عنترة" بعد حديثه عن بطولاته وسلاحه يتحدث عن فرسه الذي اقتحم به المعركة فيقول:

ولرب مشعلة وزعت رعالها بمقلص لهذ المراكل هيكل

سلس المعذر لاحق أقرابه متقلب عبنا بفأس المسحل

نهد القطاة كأنها من صخرة ملساء يغشاها المسيل بمجفل

[1]- زهير بن أبي سلمى الديوان، ص 71، ص 72.

[2]- ينظر، مصطفى ناصف قراءة ثانية لشعرنا القديم، ص 110.

وكأن هاديه إذا استقبلته جذع أذل وكان غير مذلل

وكأن مخرج روحه في وجهه سربان كانا مولجين لجيأل

وكان متنيه إذا جردته ونزعت عنه الجل متنا إيل

وله حوافر موثق تركيبها صم النسور كأنها من جندل

وله عسيب ذو سبيب سابغ مثل الرداء على الغني المفضل

سلس العنان إلى القتال فعينه قبلاء شاخصة كعين الأحول

وكأن مشيته إذا نهنهته بالنكل مشية شارب مستعجل

فعليه أقتحم الهياج تقحما فيها وأنقض انقضاض الأجدل[1]

فعنترة يصف معدة من معدات الحرب باستقصاء أوصاف فرسه وإذا كان "عنترة" يصف فرسه من منطلق الفخر بما يمتلك فإن هذا الوصف يؤكد قيمة من قيم الفروسية ويتجاوز بمعطياته الصورة المكررة للفرس في الحياة اليومية كما يمثل دعوة ضمنية لامتلاك الخيل بوصفها وسيلة من وسائل الحرب.

واعتادت الخيل التدريب كل صباح وأصيل، حتى تهيأت لكل غاية واكتسبت صفات الكمال وكأنها أخذت من كل حيوان أحسن ما فيه و مشهد الخيل والغارة يحمل دلائل مشرقة لأن روح المعرفة ترتكز فيه، فالخيل في الغارة

[1]- عنترة بن شداد، الديوان، ص 55، ص 56.

تراقب كل حركة تظهر حولها وتصغي إلى كل همهمة من الفرسان، وتنطلق مبارية حتى نهاية المعركة"[1].

فهي تباري الرماح التي تتعرض لها كقول النابغة الذبياني:

لهن عليهم عادة قد عرفتها إذا عرض الخطي فوقد الكواثب[2]

فالخيل تعلم ما في نفوس فرسانها وتدرك معنى تصرفاتهم، فقد تعودت تلقى الطعنات مثلما تعودت الغارة، فالفرس امتلكت صفة الصبر والإقدام والقوة.

وكذلك كما جسدتها الخنساء في وصف أخيها صخر فرأت صورته في صورة الخيل، فخيل الأعداء تقشعر لرؤيتها صخرا وكذلك في قولها:

فيا عين بكي لامرء طار ذكره له تبك عين الراكضات السوابح[3]

فصخر كان ينقذها من الموت غداة القتال وكانت الخيل قد فرحت بموته، فاستراحت من كثرة الخروج إلى الحرب ومن هنا يظهر لنا أن صورة الخيل ارتبطت بالمرثي، فهو الذي يحميها من الشدة ويذود الموت عنها وعن الفرسان.

[1]- مصطفى ناصف قراءة ثانية لشعرنا القديم، من 122.

[2]- النابغة الذبياني، الديوان، من 14.

[3]- الخنساء، الديوان، من 20.

ويصور "امرؤ القيس" فرسه في الجلاب بأدق مما صوره به في الصيد فيقول:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني جرداء معروقة اللحيين سرحوب

كأن هاديها إذ قام يلجمها قعوة على بكرة زوراء منصوبإذا تبصرها الراعون مقبلة لاحت لهم غرة منها و تجيب

رقاقها ضرم وجريها خذم ولحمها ريم والبطن مقبوب

والعين قادحة واليد سابحة والرجل طامحة واللون غربيب

والماء منهمر والشد منحدر والقصب مضطمر والمتن ملحوب[1]

ففرس "امرؤ القيس" إذا ما وقف في حلبة القتال وقف متحفزا كالعقاب، وإذا جره فهو السريع المنسرح الخفيف، وهو من الأفراس العربية الخالصة، يدل عليه ضمور بطنه ووفرة شحمه وملامسة ما بين متنه ولونه الكميت.

"والأوصاف التي قدم بها عنترة فرسه أكثرها يتصل بالإطار العام لوصف الخيل في الشعر الجاهلي، ولكننا نلاحظ

[1]- امرؤ القيس الديوان، ص 194 ، ص 195.

أن عنترة قد عني بإبراز الرهبة التي سعى عنترة لتحقيقها لنفسه"[1].

ومن النماذج الشعرية التي قدمها عنترة قوله:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إذ كنت جاهلة بما لم تعلم

إذ لا أزال على رحالة سابح نهد تعاوره الكماة مكلم

طورا يجرد للطعان وتارة يأوي إلى حصد القسى عرمرم[2]

يطلب عنترة من محبوبته أن تسأل الخيل عن بطولاته وإقدامه إن كانت جاهلة بها، وهو حين يطلب منها أن تسأل الخيل يكون قد وحد بين الفرس والفارس، كما تبرز ثقته بالخيل التي لا تنكر بطولته وإن أنكرها الناس، وعندما يقول لها إذ لا أزال على رحالة سابح يعكس اندماجا في حياة الحرب وكأنما أصبحت حياته كلها على ظهور الخيل.

والفرس الذي أخذه الشاعر سابح تداوله الأبطال مرة بعد مرة.

[1]- حسني عبد الجليل يوسف الأدب الجاهلي، قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة 2، 1424، 2003، ص 127.

[2]- عشرة بن شداد، الديوان، ص 22.

المبحث الرابع: الحيوان وبلاغة التشبيه.

التشبيه عند الجاهلي من مقومات الكلام الأساسية وهو يعتمد عليه اعتمادا ويرتكز عليه ارتكازا.

"وبعد التشبيه أكثر فنون البيان ورودا في الشعر العربي القديم لما يتميز به من عقد الصلة بين الأشخاص الكائنات والجمادات وتقريب الأشكال والرؤى وإيضاح المجهول بالمعلوم والخفي بالجلي"[1].

ويعتبر الحيوان طرفا مهما في تشبيهات الشاعر الجاهلي وكان وروده إما مشبها أو مشبها به أو كليهما معا.

أ- **الحيوان مشبه:** والمشبه هو الطرف الذي تثبت عليه الصفة، ونجد "امرؤ القيس" الذي "كان أحسن أهل طبقته تشبيها"[2]، فيتعمق في إدماج العناصر البشرية والحيوانية ليخرج صورة عجيبة تنم عن مدى ألفه للوحش فيشبه ناقته بألواح سرير الموتى وقد زجرها فصارت مبعدة على طريق مستبين استبانة خطوط الثوب، قائلا:

---

[1]- مختار عطية، علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، دار الوفاء الدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص 09.

[2]- محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، مصر، السفر الأول، ص 55.

وعنس كألواح الإران نسأتها على لاحب كالبرد ذي الحبرات

فغادرتها من بعد بدن رذية تغالى على عوج لها كدنات

وأبيض كالمخراق بليت حده وهبته في الساق والقصرات[1]

رب ناقة تشبه ألواح هذا النوع من الخشب في قوتها وصلابتها وضربتها بالمنسأة، وهي العصا الشديدة على طريق واضح وضوح الثياب اليمنية الموشاة، فتركتها بعد البدانة في حالة هزال وضعف لكثرة سيرها.

ويصف "امرؤ القيس" فرسه بأوصاف نادرة فيقول:

درير كخذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل[2]

نلاحظ في هذا البيت ندرة في التشبيه لأن امرؤ القيس حين صاغه رجع بذكرياته إلى أمد بعيد من الزمن، رجع إلى أيام كان وليدا يلعب مع الصبية لعبة الخذروف الذي يربط به الخيط ويضرب بشدة فتكاد لا تراه لشدة سرعته.

وورد تشبيه القطيع من بقر الوحش كأنه نساء رواهب في قوله:

فأنست سربا من بعير كأنه رواهب عيد في ملاء مهدب[1]

[1]- امرؤ القيس، الديوان، من 169.

[2]- امرؤ القيس الديوان، المصدر السابق، ص47.

فقد شبه بقر الوحش في التفافها حول بعضها وذيولها طويلة بالرواهب خرجن جماعات في يوم عيد وعليهن الثياب المهدبة الفضفاضة.

أما بيته الذي استطاع فيه تشبيه شيئين متضادين يقول:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي[2]

فهو يشبه قلوب الطيور الرطبة بالعناب الغض وقلوب الطير يابسة بالتمر اليابس، "فلا شك أنه شغل الناس ببراعته وروعته، وليعد هذا التشبيه من ابتكاراته التي لم يسبقه إليها أحد"[3].

وقد برع "طرفة" في التشبيه حيث أعجب بتشبيهاته كثير من النقاد القدامى، ومن جيد شعره وصفه للناقة وتشبيهها بقنطرة الرومي يقول:

لها مرفقان أفتلان كأنها تمر بسلمي دالج متشدد

كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد[4]

---

[1]- المصدر نفسه، ص 79.

[2]- المصدر نفسه، ص 68.

[3]- زكريا الصيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ص 224.

[4]- طرفة بن العبد، الديوان، ص 139.

فطرفة بن العبد يشبه مرفقي ناقته بقنطرة الرومي خلف صاحبها ليحاطن بها حتى ترفع بالأجر. ومن أمثلة التشبيه المفرد قوله أيضا في وصف الناقة:

لها فخذان أكمل النحض فيهما كأنهما بابا منيف ممرد[1]

فقد كان مبدعا في خياله حين يلائم في تشبيه فخذي الناقة ببابي القصر المنيف.

وخلا الذباب بها فليس ببارح غردا كفعل الشارب المترنم

هرجا يحتك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم[2]

وقد عرض عنترة بن شداد للذباب قائلا:

وهذا من أحسن تشبيهاته[3] وقد تناول فيه حال الذباب وهو يصوت وكأنه من شارب خمر أخذت بلبه الراح فأخذ يهزج ويحك ذراعيه الواحدة بالأخرى مثل الإنسان الأحذم بقدح الزند ليخرج نارا ويقول في موضع آخر:

هل تبلغني دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرم

[1]- طرفة بن العبد، الديوان، المصدر نفسه، ص 138.

[2]- عنترة بن شداد، الديوان، ص 16.

[3]- ابن قتيبة الشعر والشعراء، طبع في مدينة ليدن، المحروسة، بمطبعة بريل المسيحية، 1902، ج 1، ص 253.

خطارة غب السرى زيافة تطس الإكام بوخذ خف ميثم[1]

فهنا يشبه ناقته في تكسيرها ما تحت أحفافها وسرعتها بآلة الوشم.

ونجد شاعرا مثل " عبيد بن الأبرص" يقول في إحدى قصائده:

وقد أسلي همومي حين تحضرني بجسرة كعلاة القين شملال

زيافة بقتود الرحل ناجية تفري الهجير بتبغيل وإرقال

مقذوفة بلكيك اللحم عن عرض كمفرد وحد بالجو ذيال[2]

فالشاعر يسلي همومه حين تحضره بناقته الجسور الشبيهة بسندان الحداد في صلابتها وهي تقطع المسافات بسرعة أثناء الليل وأما جسمها فهو ضخم من أي جهة نظرت إليه تجده لحيما وفي نهايته ذيل طويل وكأنما ثور وحيد يرعى في أرض واسعة لا يفزعه شيء.

ب- الحيوان مشبه به: والمشبه به هو الطرف الذي تتضح فيه الصفة وفي هذا يقول "امرؤ القيس"

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له، لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل[3]

[1]- عنترة بن شداد، الديوان، ص 17.

[2]- عبيد بن الأبرص، الديوان، ص24.

[3]- امرؤ القيس، الديوان، ص 42.

فهو يضع بين أيدينا ليلا كموج البحر في طوله، وكالجمل في ثقل وطأته " إنها تركيب يستمد قوتها من البلاغة الفطرية في نفوس الجاهليين وتعابير تصدر عن أذهان خلقت هي والفصاحة توأمين وأساليب تنبعث من طبيعة عربية أصيلة وصيغة بدوية خالصة "[1].

وفي تشبيه بليغ آخر يقول "امرؤ القيس:"

وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيل[2]

فقد قطع في رحلته وادا مقفرا موحشا واسعا مثل بطن الحمار وما أجمل تشبيهه نفسه وهو في حالة الكر والهجوم على الصيد بحالة عقاب لينة الجناحين انقضت على فريستها، إذ الحيوان وسيلة للوصف يقول:

كأني بفتخاء الجناحين لقوة صيود من العقبان طأطأت شملال[3]

وقد اختار عقابا لينة الجناحين ليكون ذلك أدعى للسرعة والمطاوعة.

أما "الأعشى" فيقول:

ولقد شبت الحروب فماغمـ رت فيها إذ قلصت عن حيال[1]

[1]- زكريا الصيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ص 127.
[2]- امرؤ القيس، الديوان، ص 44.
[3]- المصدر نفسه، من 68.

فقد شبه الحرب بالناقة التي حملت بعد أن كانت لا تحمل ويشبه "زهير" المنايا بالناقة العشواء لا تفرق بين الناس حين تغشاهم في قوله:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم[2]

ويشبه الشاعر "النابغة الذبياني" بعد أن هدده النعمان ونبذه الناس وحقوه بالبعير الأجرب الذي طلي بالقار وأبعد عن سائر الإبل بقوله:

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار، أجرب[3]

وقد انتزع الشعراء الجاهليين من الكلاب صورا وتشبيهات عدة وها هو ذا الشاعر الجاهلي "بشر بن أبي حازم" يقول:

قطعناهم فباليمامة فرقة وأخرى بأوطاس فهر كليبها

نقلناهم نقل الكلاب جرائها على كل معلوب يثور عكوبها[4]

فهو يقول: تركنا الأعداء مهزومين مدحورين لهم أصوات تشبه هرير الكلاب ذعرا وخوفا، يغادرون أماكنهم

---

[1]- الأعشى، الديوان، ص 250.

[2]- زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص 75.

[3]- النابغة الذبياني، الديوان، ص 19.

[4]- المفضل الضبي، المفضليات، ص 332.

وينقلون أمتعتهم كما تنقل الكلاب جراءها على طريق مبعد.

ويقول في موضع آخر الشاعر "عبد يغوث" مشبها جيش الأعداء في كثرته وزحفه بالجراد المنتشر:

وعادية سوم الجراد وزعتها يكفي وقد أنحو إلى العوالي[1]

كما شبه الشاعر "قيس بن الخطيم" نعومة صدر الحسناء بالجرادة في ملاستها و نعومتها، قائلا:

كأن لبانها تضمنها هزلي جراد أجوازه خلف[2]

ووصف الشعراء الجاهليون الأسد وشبهوا به الشجعان والأقوياء فقد وصف "امرؤ القيس"، نفسه بالأسد و هو يهدد قبيلة "برصان" فقال:

قولا لبرصان عبيد العصا من غركم بالأسد الباسل[3]

ج- الحيوان مشبه ومشبه به: ومن أبرز من ورد الحيوان في شعره مشبها ومشبها به امرؤ القيس" الذي قرب المأخذ وشبه الخيل بالعقبان والناقة بالأتن الوحشية، والفرس بالظباء... إلخ.

[1]- ينظر، على أحمد الخطيب، فن الوصف، ص 196.

[2]- الأصمعي، الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون، دار المعارف ، 2 ، مصر 2019، القاهرة، ص 95.

[3]- امرؤ القيس الديوان، ص 255.

ومن أمثلة ذلك قوله:

مكر مفر مقبل مدبر معا كتيس ظباء الحلب العدوان[1]

فالفرس هنا جريء سريع يقبل ويدبر في وقت واحد مثل فحل الظباء الذي لا يثنيه عن مراده شيء، وهاته الظباء سريعة العدو حيث ترعى نبات الحلب فتضمر عليه بطونه وبذلك أصبغ على الفحل صفة السرعة الفائقة لأنه فحلها وقائدها وهذه الصورة مجتمعة للفحل هي التي أرادها الشاعر لفرسه أيضا.

وقد شبه الناقة بالأتن الوحشية في قوله:

أرن على حقب حيال طروقة كذود الأخير الأربع الأشرات[2]

فالأتن التي يشبه بها ناقته مازالت شابة فتية أو أنها لم تحمل في سنتها مستعدة للضراب وهي في عددها أربع بقرات قوية نشيطة.

ومن أروع تشبيهاته قوله:

له أبطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل[3]

ورد في هذا البيت تشبيه أربعة أشياء بأربعة أشياء، فالفرس يتصف بخاصرتين تشبهان خاصرة الظبي في الدقة والضمور وساقيه مثل ساقي النعامة في الطول والانتصاب وعدوه كعدو الذئب حين يطلق ساقيه للريح، أما التشبيه الرابع هو وضع رجليه موضع يديه في الجري فهو شبيه بحركة ولد الثعلب في عدوه.

[1]- امرؤ القيس، الديوان، المصدر نفسه، ص 93.

[2]- المصدر نفسه، ص 167.

[3]- المصدر نفسه، ص 48.

وإنه لتشبيه طريف حينما يشبه زهير بن أبي سلمى ناقته بنوع خاص من القطا فيقول:

كأنها من قطا الأجباب حلؤها ورد وأفرد عنها أختها الشرك[1]

فقد اختار المشبه به لناقته من صميم البيئة التي يعيشها فيشبهها بقطاة أفرد عنها أختها شرك الصياد فأسرعت في الطيران لما أصابها من فزع وخوف.

وفي موضع آخر يشبه ناقته بالبقر الوحشي فيقول:

كخنساء سفعاء ملاطم حرة مسافرة مزؤودة أم فرقد[2]

و"الأعشى" يشبه ناقته بحمار الوحش قائلا:

عنتريس، تعدوا إذا مسها السو ط كعدو المصلصل الجوال[3]

فناقته صلبة تعدوا سريعة إذا لمسها السوط كما يعدوا الحمار الوحش الجوال وقد أضناه لظى الصيف.

من خلال بحثنا استنبطنا معارف جديدة تمثلت فيما يلي:

- إن عالم الحيوان عالم أبهر الإنسان الجاهلي واستحوذ على تفكيره، وغدا أطروحة يتناولها.
- أبدع الشعراء الجاهليون في وصف الحيوانات بنوعيها الأليفة والبرية بالإضافة إلى الطيـــور والـزواحـــف والحشرات.

[1]- زهير بن أبي سلمى الديوان، ص 44.
[2]- زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص 24.
[3]- الأعشى، الديوان، ص 247.

- كان حضور الناقة مميزا في الشعر الجاهلي، فقد وصفوها وصفا مسهبا، فلم يتركوا عضوا من أعضائها ولا حركة من حركاتها ولا سمة من سماتها إلا وصفوها، وأجادوا في وصفها وانفرد في ذلك كل شاعر بناقته، فنجد "ناقة امرؤ القيس"، " ناقة طرفة"، "ناقة الحارث بن حلزة".
- كانت للخيل مكانة خاصة في المجتمع الجاهلي، فعدوها بمثابة أولادهم، و اعتبروها في السلم مفخرة وفي الحرب حصن حصين واشتهر في وصفها كثير من الشعراء منهم امرؤ القيس، عنترة بن شداد النابغة الجعدي و أبو داؤد الإبادي ...
- كان للكلاب نصيب من وصف الشعراء حيث أبرزوا خصائصها من سرعة وقوة ونشاط وحدة في السمع والبصر، واتخذوا من جبنها وعدم نباحها للضيف دليلا على الكرم ومن نباحها للوافدين دليلا على الشح والبخل وممن وصفوها امرؤ القيس، المزرد بن ضرار...
- انفرد الثور الوحشي باهتمام شديد عند أكثر الشعراء الجاهلية حيث صوروه قبل المعركة وفي أثنائها وبعدها ووصفوا انفعالاته وحركاته ومنهم النابعة، لبيد بن ربيعة....
- أغرم الشعراء وأكثروا من إيراد الحمر الوحشية وأتنها وصدقوا في تصوير ذلك، ومن أهم واصفيها أبي ذؤيب الهزلي، لبيد...
- جاء شعرهم زاخرا بالحديث عن الذئب فكان مثالا للغدر والخيانة والخبـــث والظلـــم وأبرع من وصفه الصعاليك كالشنفرى.
- برز شعراء كثر في وصف الأسد حتى لقب أحدهم بأبي زيد الطائي وصاف الأسد، حيث أورد صفات هذا الأخير بالتفصيل.

- يعد العقاب من الطيور الجارحة التي وصفها الشعراء بأسلوب منسق وألفاظ جزلة منهم عبيد بن الأبرص، امرؤ القيس.

- مثل الحمام عندهم تعبيرا عن الحزن في مجال الرثاء واختلف الشعراء في رسم صورته منهم الخنساء، عنترة.
- واشتمل الشعر الجاهلي على قطع كثيرة تصور النحل وسعيه في الجبال، الذباب وصور الحيات وخبثها وأثر سمها.
- جاءت العلاقة وطيدة بين الحيوانات وموصوفات الشاعر بدءا بالمرأة التي شبهت عيناها عند كثير من الشعراء بعيون البقر الوحشي، وجيدها بجيد الرئم وقورنت مكانتها بمكانة الخيل.
- أما الطلل فقد توسل الشاعر في وصفه بالحيوان عندما وقف باكيا وشاكيا مخاطبا ديار المحبوبة التي انتشرت فيها الحيوانات، حيث ترمز هذه الأخيرة إلى الخصب والحياة بعكس الطلل الذي يرمز إلى الدمار والخراب.

- وصفوا الحرب باستقصائهم الصفات الحيوان باعتبارها وسيلة للحرب.
- شاع في شعر الحيوان التشبيه شيوعا كبيرا، حيث شبهوا حيوانات بحيوانات أخرى، ومنهم من شبه نفسه أو قومه ببعض الحيوانات من باب المدح والذم.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال بحثنا استنبطنا معارف جديدة تمثلت فيما يلي:

- إن عالم الحيوان عالم أبهر الإنسان الجاهلي واستحوذ على تفكيره، وغدا أطروحة يتناولها.
- أبدع الشعراء الجاهليون في وصف الحيوانات بنوعيها الأليفة والبرية بالإضافة إلى الطيور والزواحف والحشرات.
- كان حضور الناقة مميزا في الشعر الجاهلي، فقد وصفوها وصفا مسهبا، فلم يتركوا عضوا من أعضائها ولا حركة من حركاتها ولا سمة من سماتها إلا وصفوها، وأجادوا في وصفها وانفرد في ذلك كل شاعر بناقته، فنجد "ناقة امرؤ القيس"، "ناقة طرفة"، "ناقة الحارث بن حلزة".
- كانت للخيل مكانة خاصة في المجتمع الجاهلي، فعدوها بمثابة أولادهم، واعتبروها في السلم مفخرة وفي الحرب حصن حصين، واشتهر في وصفها كثير من الشعراء منهم: امرؤ القيس، عنترة بن شداد، النابغة الجعدي وأبو داؤد الإبادي ...
- كان للكلاب نصيب من وصف الشعراء حيث أبرزوا خصائصها من سرعة وقوة ونشاط وحدة في السمع والبصر، واتخذوا من جبنها وعدم نباحها للضيف دليلا على الكرم ومن نباحها للوافدين دليلا على الشح والبخل، وممن وصفوها امرؤ القيس، المزرد بن ضرار ...

- انفرد الثور الوحشي باهتمام شديد عند أكثر الشعراء الجاهلية حيث صوروه قبل المعركة وفي أثنائها وبعدها ووصفوا انفعالاته وحركاته ومنهم النابغة، لبيد بن ربيعة ...
- أغرم الشعراء وأكثروا من إيراد الحمر الوحشية وأتنها وصدقوا في تصوير ذلك، ومن أهم واصفيها أبي ذؤيب الهزلي، لبيد ...
- جاء شعرهم زاخرا بالحديث عن الذئب فكان مثالا للغدر والخيانة والخبث والظلم وأبرع من وصفه الصعاليك كالشنفرى.
- برز شعراء كثر في وصف الأسد حتى لقب أحدهم بأبي زيد الطائي وصاف الأسد، حيث أورد صفات هذا الأخير بالتفصيل.
- يعد العقاب من الطيور الجارحة التي وصفها الشعراء بأسلوب منسق وألفاظ جزلة منهم عبيد بن الأبرص، امرؤ القيس.
- مثل الحمام عندهم تعبيرا عن الحزن في مجال الرثاء واختلف الشعراء في رسم صورته منهم الخنساء، عنترة.
- واشتمل الشعر الجاهلي على قطع كثيرة تصور النحل وسعيه في الجبال، الذباب وصوته الحيات وخبثها وأثر سمها.
- جاءت العلاقة وطيدة بين الحيوانات وموصوفات الشاعر بدءا بالمرأة التي شبهت عيناها عند كثير من الشعراء بعيون البقر الوحشي وحيدها بجيد الرئم وقورنت مكانتها بمكانة الخيل.
- أما الطلل فقد توسل الشاعر في وصفه بالحيوان عندما وقف باكيا وشاكيا مخاطبا ديار المحبوبة التي انتشرت فيها الحيوانات، حيث ترمز هذه الأخيرة إلى الخصب والحياة بعكس الطلل الذي يرمز إلى الدمار والخراب.

- وصفوا الحرب باستقصائهم لصفات الحيوان باعتبارها وسيلة للحرب.
- شاع في شعر الحيوان التشبيه شيوعا كبيرا، حيث شبهوا حيوانات بحيوانات أخرى، ومنهم من شبه نفسه أو قومه ببعض الحيوانات من باب المدح والذم.

الملاحق

ملحق الأعلام

أبو ذؤيب الهزلي: أبو ذؤيب خويلد بن خالد جاهلي أدرك الإسلام وأسلم أصيب أبناؤه الخمسة بالطاعون في مصر فماتوا، رثهم بمرثية شهيرة، ترك أبو ذؤيب قصائد ثيرة أوردتها معظم كتب الأدب أشهرها شعره عينته وشعره سهل تلينه العاطفة.

أبو زيد الطائي: هو حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنطل بن النعمان، نشأ أبو زيد نصرانيا، وكان من المعمرين، وقيل أنه مائة وخمسين سنة، وعاش أبو زيد إلى أيام معاوية، ترك شعرا كثيرا منه في وصف الأسد حتى لقب بوصافة الأسد.

الأعشى: (530-629) أبو بصير ميمون بن قيس البكري الملقب بالأعشى لضعف بصره ولد في قرية منفوحة من قرى اليمامة وقد كان خبيث اللسان يجيد الهجاء كما يجيد المدح، ترك شعرا كثيرا جمع في ديوان كبير إذ نافت قصائده على الثمانين، وبلغ عدد أبياته مئات وألفي بيت.

امرؤ القيس: عرف امرؤ القيس بأسماء متعددة، فقد روى أنه كان يسمى حندجا، وعديا، وملبكة، ويكنى بأبي وهب وأبي زيد، وأبي الحارث، ويلقب بذي القروح والملك الضليل، وامرؤ القيس بن عمرو بن الحارث ابن معاوية الأكبر بن ثور بن مربع الكندي، لامرؤ القيس ديوان والكثير من الأشعار والأخبار وشعره صورة كاملة عن حياته وخلقه.

الحارث بن حلزة: أبو ظليم الحارث بن حلزة اليشكري، ان ممن يضرب بهم المثل في الفخر فيقال أفخر من حارث بن حلزة، عمر طويلا، فقيل إنه نيف على الخامسة والثلاثين بعد المئة لم يؤثر عنه من الشعر إلا قطع يسيرة أشهرها المعلقة.

الخنساء: تماضر بنت عمر بن الشديد السلمية ينتهي نسبها إلى مضر وتلقب بالخنساء، اشتهرت بميراثيها وبخاصة لأخويها صخر ومعاوية وكان أحبهما أليها، أدركت الخنساء الإسلام وأسلمت هي وقومها بنو سليم، تركت شعرا كثيرا جمع في ديوان معظمه قيل في الجاهلية.

ملحق الأعلام

زهير ابن أبي سلمى: هو زهي بن أبي سلمى ولد في نجد سنة(530) ونشأ في غطفان مات عنه أبواه باكرا وتزوجت أمه أوس بن حجر الذي عني به، أنج من زوجته كبشة كعب، وقد شهد حرب داحس والغبراء، عاش حياته كلها للشعر ويرويه ويعلمه.

الشنفرى الأزدي: أحد أولئك الصعاليك الذؤبان الذين ظهروا في العصر الجاهلي وكانوا يمثلون طبقة خارجة عن المجتمع الجاهلي القبلي، والأزدي نسبة إلى الأزد، ونشأته واسمه ونسبه غامض كل الغموض، ونجد الشنفرى في بعض شعه يصرح بأنه هجين وتذهب بعض الروايات إلى أنه كان من الأوس بن الحجر بن الهينئ بن الأزد ومن هنا جاءت نسبته.

طرفة بن العبد: هو عمر بن العبد سفيان من قبيلة بكر بن الأوائل، ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار بن معد عدنان لقب بطرفة لبيت قاله، كني بابن العشرين والغلام القتيل، تر أشعارا جمعت في ديوان أشهرها المعلقة التي بلغ عدد أبياتها بضع ومئة بيت.

عبد اليغوث الحرثي: هو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاه ينتهي نسبه إلى قحطان، وكان شاعرا من شعراء الجاهلية فاسا سيدا لقومه من بني الحارث بن كعب وكان قائدهم يوم الكلاب الثاني ضد بني تميم وفي ذلك اليوم أسر فقتل، وأخوه مسهر فرس شاعر وهو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينيه يوم فيق الريح.

عبيد بن الأبرص: عبيد بن البرص بن جشم بن عامر أبو زياد من شعراء الجاهلية وفرسانها المشهورين، نشأ في قومه بني أسد في نجد وهو شاعر فحل عده بعضهم من أصحاب المعلقات وترك شعرا أشهر ما فيه معلقته البائية.

علقمة بن عبدة الفحل: هو علقمة بن عبدة بن النعمان ينتهي نسبه إلى تميم، وهي إحدى قبائل مضر، أحد الشعراء الجاهليين المجيين، و كان من فحولها، ويقال أنه لقب بالفحل ليفرق قومه بينه وبين شاعر آخر يقال أنه لقب بالفحل ليفرق قومه بينه وبين شاعر آخر يقال له علقمة الخصي، وهو من احتكم إلى أم جندب في وصف الفرس مع امرؤ القيس.

عنترة بن شداد: عنترة بن شداد بن عمر، وقيل بن عمرو بن شداد معاوية بن قداد العبسي من أهل نجد، ويلقب بعنترة الفوارس لشجاعته وعنترة الفلحاء لشقاق شفتيه السفلى، وهو أحد أغرية العرب، ترك شعرا كثيرا جمع في ديوان معظمه حول الحماسة وما يتبعها من فخر وذكر للوقائع.

قيس بن الخطيم: هو أبوزيد قيس بن الخطيم ينتهي نسبه على مالك بن أوس فهو من الأوس، قتل جده ثم قتل أبوه قبل أن يأخذ بثأر أبيه، ثم خشيت عليه أمه أن يقتل وهو يطلب بثأر أبيه و جده فعمدت إلى كومة من التراب عند باب دارهم فوضعت عليها أحجار وجعلت تقول له هذا قبر أبيك وجدك إنهما ماتا كما يموت سائر الناس... أما شاعريته فقد ذكرت كتب الأدب روايات كثيرة تدل على مكانته في الشعر.

كعب بن زهير: كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني المعروف بأبي سلمى نشأ في غطفان قوم أمه كبشة في بيت يكتنفه الشعر من كل جانب، كان رواية لأبه ليس في حياته ما يلفت النظر سوى إسلامه واعتذاره إلى النبي (ص) بقصيدته الشهيرة "البردة".

لبيد بن ربيعة: أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري المضري، ولد نحو(560) نشأ في قومه كريما شريفا، وكان من أجود العرب وقد نبغ في قول الشعر صغيرا، ترك أشعارا قليلة جمعت في ديوان أهم ما فيها المعلقة.

المثقب العبدي: هو محصن بن ثعلبة، و يقال هو عائذ أو عائذ الله بن محصن بن ثعلبة بن وائلة من قبيلة نكة، وينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار ولقبه المثقب بكسر القاف لا غير، وإنما لقب بذلك لقوله:

"رددن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون"

النابغة الجعدي: عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة أبو ليلى، عاش زمنا في الجاهلية ثم أسلم، عمر طويلا، ترك شعرا في مختلف الموضوعات أشهره رائيته في مدح الرسول، اشتهر في وصفه الخيل حتى ضرب به المثل.

ملحق الأعلام

النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية الذبياني، أمه عاتكة بنت أنيس من أشجع الذبيانيين، لقب بالنابغة لنبوغه في الشعر وتفوقه فيه، وقد ترك شعرا كثيرا جمع في ديوان وشرح مرارا فيه مدح ورثاء وكثير من الاعتـــذار وغـــــــزل ووصف.

مـــلـحـق الـمـفـرداة الـصـعـبـــة

الآرام: الظباءة البيض الخالصة البياض
الإبرام: الإحكام.
أبلق الكشحين: حمار وحشي أبيض الخاصرة.
أتلع: طويل العنق.
الأجدل: الصقر.
الأجذم: الناقص اليد.
الحرد: استرخاء عصب يد البعير من شدة العقال.
الأجرنة: باطن العنق.
الإجناح: الإمالة.
الإحصاد: الإحكام والتوفيق.

الأحقب: حمار الوحش أبيض الحقوين.
الحلب: نبت ترعاه الظباء فتضمر عليه بطونها.
أحوى: الذي في شفتيه سمرة و هو ظبي في لونه حمرة.
الآران: خشب صلب لصنع التوابيت.
أرن: رفع صوته.
الإزلام: القوائم.
الإسحاق: الإخلاق و السحق هو الخلق.
الأشرات: القويات.
الأصبرة: من الإبل والغنم التي تروح و تغدو على أهلها لا تغرب عنهم.
الأعلم: مشقوق الشفة العليا.
ليلة.
الأغن: الذي في صوته غنة.
الأقب: الضامر البطن.
اقمطرت: اشتدت.
الإمرار: إحكام الفتل.
الإهابة: دعاء الإبل وغيرها.
الأوابد: الوحوش.
الأيطل: الخاصرة.
برغز: ولد البقرة الوحشية.

جل: ما يوضح على ظهر الدابة صيانة لها.
جمالية: ناقة تشبه الجمل.
جمان: درة مصوغة من الفضة.
الحبرات: الزينة
الحدج: مركب من مراكب النساء و جمعها حدوج.

الحرف: الناحية.
الحشف: البالي من تمر.
الحقب: جمع حقاب وهي البقرة الوحشية ا البيضاء العجز
الحيزوم: الصدر.

.
الخذم: السيور التي تشد بها نعال الإبل.
الخف: الخفيف.
الخلايا: السفينة العظيمة.
الخلقاء: الملساء.
الخلوف: الأضلاع.
الدأي: خزر الظهر و العنق.
درير: سريع، خفيف.
الديمة: مطر تدمر، و أقلها نصف يوم و

ذو الجدة: الثور الوحشي.
الذود: الإبل.
الرئم: الظبي الأبيض الخالص البياض.
الرباع: فتي السن.
ربذات: قوائم سريعة الرفع.
الرديان: عدو الحمار.
الرز: الصوت الخفي.
الرشأ: الظبي الذي قوي.

مـلحـق الـمـفـرادات الـصـعـبـة

البغام: صوت رقيق.
البنائق: رقعة في أعلى القميص.
التأليل: التحرير.
تنفل: ولد الثعلب.
جمجم: من صهيل الفرس.
التمريد: التأخر و الجبن.
التوجس: السمع.
جرداء: الفرس القصيرة الشعر.
السكان: ذنب السفينة.
سلم: الدلو.
السهام: شدة الحر.
السوم: المرور.
شادن: الغزال الذي قوي واستغنى عن أمه.
الشدنية: قبيلة تنسب الإبل إليها.
شلو: العضو و قيل بقية الجسد.
الشوامت: القوائم.
الشور: النوق التي جفت ضروعها و قلت ألبانها.
الشيظم: الطويل من الخيل.
صياك: شوقك.
الصد: الإعراض.
الصرم: القطع والهجر.
الصريمة: العزيمة.
الصعلة: النعامة الصغيرة الرأس.
الصفيحة: الحجر العريض.
الصهباء: الحمراء.
الصوار: القطيع من بقر لوحش.
ضمران: اسم كلب للصيد.
طاوي: الثور الوحشي.
الطلح و الطليح: المعيي.
طمطم: الذي لايفصح .
ظلف: الظلف للبقرة والشاة والظبي كما الحافز للفرس والحف للبعير.
ظليم: ذكر النعام.
العذر: الشعرات قدامة القربوس.
الرند: شجر طيب الرائحة.
الزجل: الصوت.
الزوراء: المنحرفة على غير استواء.
السبت: جلود البقر المدبوغة.
سربلت: لبست ثوبا جميلا.
السرحان: الذئب.
سرحوب: الطويلة المتناسبة الأعضاء.
العنس: الناقة القوية.
العوجاء: الناقة التي لا تستقيم في سيرها لفرط نشاطها.
العيرات: مواضع الأعيار و هي الحمير الوحشة.
العين: بقر الوحش.
العزة: الغفلة.
الغزار: الكثير الألبان.
غشيت: أتيت و حللت.
الغضف: من الكلاب المسترخية الآذان.
الفرقد: ولد البقرة الوحشية.
القرا: الظهر.
القرماء: موضع باليمامة.
قلة: الرأس أعلاه.
القلوص: من الإبل والنعام.
الكساب: اسم كلبة و كذلك سخام.
الكلم: الحرج.
الكناس: بيت يتخذه الوحش.
الكوائب: هي منسج الفرس القربوس.
مأوي: إحدى صواحبه.
مجفرة: منتفخة الجنبين.
مخروت: المثقوب.
المخلوجة: الطعنة ذات اليمين و ذات الشمال.
مخمس: التي ترد إبله الخمس.
المرجل: القدر.
المرقال: هو بين السير و العدو.
مسبوعة: افتراس السبع ولدها.
مصلصل: المرتفع الصوت و قد أريد به حمار.
مطفل: التي لها طفل.

العسيب: الذنب.
العشواء: الناقة التي تضرب بيدها ليلا على غير هدى.
معرس:
عصاب: أصله من الناقة العصوب.
علوب: الأثر.
عنى: الظهر.
عنتريس: صلبة قوية.
العندل: العظيمة الرأس.
النخض: اللحم.
النجد: الرجل الشجاع.
النص: الرفع.
نصأتها: زجرتها.
النيب: المسنة من الإبل.
هاديه: عنقه.
الهباب: النشاط.
هزجا: مصوتا.

معذر: مكان اللجام.

مهاة: البقرة الوحشية.
مقلص: الفرس الطويل القوائم.
الناجيات: المسرعات في السير.
النافع: قاتل.
الهيفاء: الضامرة ابطن الرقيقة.
الهيكل: الفرس العظيم الجرم.
وجناء: المكتترة اللحم.
وسقت: حملت.
وكنات: مواقع الطير.
ونت: انهارت و ضعفت.
يسهد: أي يمنع من النوم.
اليراع: القصب.

قائمة المصادر
والمراجع

- قـائـمـة المصادر والمـراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص.

-أولا: الـمـصـادر.

1) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، طبع في مدينة ليدن، المحروسة، بمطبعة بريل المسيحية، 1802م،ج1.

2) أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، مصر، 1926م.

3) أبو العباس المفضل بن محمد الضبي، المفضليات، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1419هـ ، 1998م.

4) أبو عثمان بن عمر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة المصطفى البابلي، ج1.

5) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط2.

6) الأصمعي، الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط2، 1119م.

7) الأعشى، الديوان، شرح يوسف فرحات، دار الجيل، 2005م.

8) امرؤ القيس، الديوان، حققه وبوبه، وضبط بالشكل أبياته، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت.

9) أوس بن حجر، الديوان، دار صادر، بيروت، ط2، 1967م.

10) الخنساء، الديوان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2002م.

11) زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه وضبطه وقدم له فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

12) طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت.

13) عبيد بن الأبرص، الديوان، تحقيق تشارلز، قدم للطبعة وأعدها للنشر محمد عوني عبد الرؤوف، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2003.

14) عنترة بن شداد، الديوان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
15) لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، شرحه وضبط نصوصه، عمر فاروق الطباع.
16) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قراءة وشرح محمود شاكر، دار المدني بجدة، مصر، السفر الأول.
17) النابغة الذبياني، الديوان، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2003م.

ثانيا : المراجع.

1) أحمد اسماعيل نعيمي، الأسطورة في شعر ما قبل الإسلام، الطبعة الأولى، 1995م.
2) إليا الحاوي، فن الوصف في الشعر الجاهلي، دار الكتاب، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية.
3) أنور أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، دار العلوم، الرياض، الجزء الأول، 1983م.
4) أنور أبو سويلم، دراسات في الشعر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1408هـ، 1987م.
5) حسن عطوان، بيئات الشعر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1993م.
6) حسيني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1424هـ، 2003م.
7) حسين جمعة، الحيوان في الشعر الجاهلي، دار رانية للطباعة، بيروت، الطبعة الأولى.
8) حلمي خليل، لغة الحيوان وطبائعه، دار المعرفة الجامعية، 2007م.
9) داود سلوم، إنعام سلوم، أثر المرأة في الأدب العربي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1427هـ، 2006م.

10) زكريا الصيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

11) زكريا عبد المجيد النوتي، الذئب في الأدب القديم، ايتراك، للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.

12) عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط3، 1425هـ، 2004م.

13) عبد الملك مرتاض، السبع المعلقات، مقاربة سيميائية، أنثروبولوجية لنصوصها، دار المنشورات، إتحاد الكتاب العربي، 1998م.

14) علي أحمد الخطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللسانية، جامعة الأزهر الشريف.

15) علي الجندي، من ينابيع الثقافة، عيون الشعر العربي القديم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الجزء الأول.

16) كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الجزء الأول.

17) محمد بلوحي، آليات الخطاب النقدي العربي المعاصر في مقاربة الشعر الجاهلي، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1425هـ، 2004م، الجزء الأول.

18) محمد علي أبو حميدة، في العبور الحضاري للامية الشنفرى، دراسة إبداعية نقدية، دار عمار، ط1، 1998م.

19) مختار عطية، علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004م.

20) مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، الدار الدولية للاستثمار الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2008م.

21) مصطفى عبد الشافي الشوري، الشعر الجاهلي، تفسير أسطوري، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1996م.

22) مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت.

23) ناهد الشعراوي، في الأدب القديم، دار المعرفة الجامعية، 2005م.

24) وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الحديث، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقـدمــة أ
المـدخــل: الحيوان في حياة الجاهلي..... 02

الفصل الأول: الحيوان موضوع للوصف.

المبحث الأول: وصف الحيوانات الأليفة..... 11
أ. الناقة..... 11
ب. الفرس..... 18
ج. الكلاب..... 23
المبحث الثاني: وصف الحيوانات البرية..... 26
أ. الثور الوحشي..... 26
ب. الحمير الوحشية..... 29
ج. الذئاب..... 31
د. الأسد..... 34
المبحث الثالث: وصف الطير..... 38
أ. النعام/ الظليم..... 39
ب.العقاب..... 43
ج. الحمام..... 46
المبحث الرابع: وصف الزواحف والحشرات..... 48

الفصل الثاني: الحيوان وسيلة للوصف.

المبحث الأول: الحيوان والـمرأة..... 53
أ. الغزال والــمرأة..... 53
ب.الخيل والــمرأة..... 56
ج. الحمر والبقر الوحشي والـمــرأة..... 58
المبحث الثاني: الحيوان والطلل..... 61
المبحث الثالث: الحيوان والحرب 68
أ. الناقة والحرب..... 69
ب. الفرس والحرب..... 70

المبحث الرابع: الحيوان وبلاغة التشبيه. 75
أ. الحيوان مشبه..... 75
ب.الحيوان مشبه به..... 79
ج. الحيوان مشبه ومشبه به..... 82
الخاتـمـة..... 88
ملحق الأعلام..... 92
ملحق الـمفردات..... 96
المصادر والـمـــراجع..... 100
فهرس الـمـــوضوعـات..... 105